

في التفسير الموضوعي (٣)

# الخيانة في القرآن

دراسة موضوعية تحليلية



د. أ. البشير  
للثقافة والعلوم

د. رمضان خميس  
كلية الشريعة جامعة قطر



الخيانة في القرآن

الطبعة الأولى

1443هـ  
2022م

اسم الكتاب: الخيانة في القرآن  
التأليف: د. رمضان خميس  
موضوع الكتاب: إسلامي  
عدد الصفحات: 98 صفحة  
عدد الملازم: 6 ملازم  
مقاس الكتاب: 14x20  
عدد الطبعات: الطبعة الأولى  
رقم الإيداع: 2021 / 27076  
التقييم الدولي: 1 - 922 - 278 - 977 - 978



يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.



إدارة التسويق والثقافة والعلوم



elbasheer.marketing@gmail.com



elbasheernashr@gmail.com

01152806533 - 01012355714

# الخيانة في القرآن

دراسة موضوعية تحليلية

د. رمضان خميس

كلية الشريعة - جامعة قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لِلشِّعْرَةِ وَالْعُلُومِ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد...

تعيش أمتنا اليوم مرحلة مفصلية من مراحل حياتها، ومحنة من محن الزمن، تألب عليها الأعداء وخانها الدون من الأبناء، فهي لا تقوم في مكان إلا تعثرت في مكان، ولا تتماسك في ناحية إلا وانكفأت في ناحية، فهي تنادي الأصفياء من أبنائها، والصادقين من الأحرار في ميدان الحياة أن هبوا لنجدي واستيقظوا لغوثي، فإذا قضيت فلا في العيش خير ولا في الدنيا هناء، لا لأبنائي ولا للأحرار من بني البشر، فنحن أمة الرسالة، ودعاة الخير وهداة البشر، كل البشر لا فرق بين لون ولون ولا جنس وجنس، بل المعيار الثابت والقانون الحاكم، الذي أمرنا به، ودعينا إليه: (كونوا قوامين لله شهداء بالقسط)، (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله)

فتلك دراسة مبسطة عن مفردة الخيانة في القرآن الكريم، سرت فيها على المنهج الاستقرائي والاستنباطي، بحصر الآيات واستنباط دلالاتها حسب موضوعها، وتصنيفها حسب موقعها من الموضوع القرآني، وجاء هيكلها في خمسة مباحث تحت كل مبحث عدد من المطالب على النحو الآتي:

## المبحث الأول: دلالات الخيانة في القرآن

المطلب الأول: الدلالة اللغوية.

المطلب الثاني: الدلالة الاصطلاحية.

المطلب الثالث: الخيانة في الاستعمال القرآني.

المطلب الرابع: الألفاظ ذات الصلة.

## المبحث الثاني: أنواع الخيانة في القرآن

المطلب الأول: خيانة الله ورسوله.

المطلب الثاني: خيانة الدين.

المطلب الثالث: خيانة العِرْض.

المطلب الرابع: خيانة النفس والجوارح.

المطلب الخامس: خيانة الأمانة.

المطلب السادس: خيانة العهد.

## المبحث الثالث: طريقة التعامل مع الخائنين

المطلب الأول: عدم المدافعة عنهم

المطلب الثاني: طرح عهودهم

## المبحث الرابع: عاقبة الخائنين

المطلب الأول: حرمان الهداية إلى الحق.

المطلب الثاني: حرمان محبة الله.

المطلب الثالث: إبطال كيدهم.

المطلب الرابع: الإهلاك.

المبحث الخامس: آثار الخيانة على الفرد والمجتمع.

المطلب الأول: على الفرد.

المطلب الثاني: على المجتمع.

أهم النتائج والتوصيات .

المراجع والمصادر.



## المبحث الأول:

### دلالات الخيانة في القرآن

في هذا المبحث نتناول معنى الخيانة في اللغة، وفي الاصطلاح، وفي الاستعمال القرآني، ونعرج على الألفاظ المقاربة ذات الصلة بمفردة الخيانة في القرآن الكريم؛ إيضاحاً للقواسم المشتركة، والدوائر الدلالية بين لفظة الخيانة وتلك الألفاظ، وتتناول ذلك على النحو الآتي:

#### المطلب الأول: الدلالة اللغوية.

دارت دلالة كلمة الخيانة ومادتها في اللغة على معاني: التنقص، والتعهد، والتغير، والمسارقة، والمتبع للجذر اللغوي للكلمة يجدها لا تخرج عن ذلك، كما سيأتي في بيان تعريف اللغويين لها، والخيانة خلاف الأمانة، ويقال للرجل خائن وللمرأة خائنة، والتاء فيها للمبالغة، مثل علامة ونسابة، وهي تدخل في أشياء سوى المال.

قال صاحب تهذيب اللغة: (خانه الدهر والنعيم خونا وهو تغير حاله إلى شر منها).

قال: وخائنة العين: ما تخون به من مسارقة النظر إلى ما لا يحل له. قال: وإذا نبا سيفك عن الضريبة فقد خانك. قال: وكل ما غيرك عن حالك فقد تخونك. (١)

(١) تهذيب اللغة، للأزهري: (٣/ ٢٥).

وقد يكون التخون بمعنى التنقص،.. ويقال: تخونته الدهور وتخوفته أي: تنقصه، فالتخون له معنيان: أحدهما التنقص والآخر التعهد. ومن جعله تعهدا جعل النون مبدلة من اللام. ويقال: رجل خائن و خائنة إذا بولغ في وصفه بالخيانة.<sup>(١)</sup>

وقال أبو هلال العسكري: (الخائن الذي ائتمن فأخذ، والسارق من سرقك سرا بأي وجه كان، يقال: كل خائن سارق، وليس كل سارق خائنا.<sup>(٢)</sup>)

والخلاصة: أن هناك علاقة بين تلك المعاني والدلالات التي شملتها مادة الخيانة، فهي تلتقي مع التغيير في معنى أن الخيانة انتقال من حال الأمانة والاطمئنان إلى حال أخرى لا أمانة فيها ولا ثقة، وتلتقي بالتنقص في جانب أن الخيانة فيها انتقاص لحق المؤتمن، وتلتقي بالسرقة في جانب أن الخيانة أخذ لغير الحق، ومسارقة متلفئة لمن ائتمنه واطمئن إلى سلامة مقصده وأمانته.

(١) تهذيب اللغة : (٧ / ٢٣٧) وانظر: لسان العرب: (٧ / ٢٨٥)، أساس البلاغة: (١٧٨)، المغرب في ترتيب المغرب (١ / ٢٧٥)، المعجم الوسيط: (١ / ٢٦٣)، مختار الصحاح لمحمد الرازي: (١ / ١٩٦)، المغرب: (٢ / ١٧٢)، العين للخليل بن أحمد: (١ / ٣٣٤)، المحيط في اللغة لابن عباد (١ / ٣٧٧).

(٢) الفروق اللغوية للعسكري: (١ / ٢٢٨).

## المطلب الثاني: الدلالة الاصطلاحية.

والخيانة في الاصطلاح تعني عدم النصح، وترك الأمانة، وتعني النفاق، والتفريط في الأمانة، وتكون في الحقيقة والمجاز، وتكون في المال وغيره، لكنهم فرقوا بين الخيانة والنفاق بأن الخيانة تكون في العهد والأمانة، والنفاق يكون في الدين.

قال الراغب الأصفهاني: (الخيانة تعني التفريط في الأمانة، والخيانة والنفاق واحد، لكن الخيانة تقال اعتبارا بالعهد والأمانة، والنفاق اعتبارا بالدين، ثم يتداخلان.<sup>(١)</sup>)

وفرّقوا بين الخيانة والاختيان بأن الخيانة خلاف الأمانة، ومخالفة الحق في السر، والاختيان يكون أمرا نفسيا يسبق الخيانة ويهيئ الخائن لها.

كما قال الفيروز آبادي في البصائر عن الخيانة هي: (أَنْ يُؤْتَمَنَ الْإِنْسَانُ فَلَا يَنْصَحُ، وَالْإِخْتِيَانُ مَرَاوِدَةُ الْخِيَانَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكُمْ كُنْتُمْ تُخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، ولم يقل: تخونوا أنفسكم، لأنه لم يكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيان فالاختيان تحرك شهوة الإنسان لتحرى الخيانة).<sup>(٢)</sup>

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٠٥، والتوقيف على مهمات التعاريف: ١٦٢.  
 (٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: (٢/ ٥٨٢)، المفردات في غريب القرآن: ٣٠٥.

### المطلب الثالث: الخيانة في الاستعمال القرآني.

أما الاستعمال القرآني لمادة الخيانة فيمكن أن نتبعه من خلال رصد الآيات الكريمة التي تناولتها، وتتبع دلالتها عبر ورودها.

فقد وردت المفردة في القرآن الكريم ست عشرة مرة، بالصور الآتية: (خان، خانوا، أخنه، تحونوا، تختانون، يختانون، خيانة، خيانتك، الخائنين، خائنة الأعين، خوان)<sup>(١)</sup>

ونلاحظ على المادة أنها أتت بلفظ الماضي والمضارع، والمصدر، واسم الفاعل، وصيغة المبالغة، ووردت مضافة ومقطوعة عن الإضافة، وكانت إضافتها إلى ضمير المخاطب، وإلى الاسم الظاهر، ووردة مفردة ومجموعة، ووردت مسندة إلى المفرد والجماعة، ووردت المادة مسندة إلى المذكر والمؤنث.

كما وردت مضافة إلى البشر بأصنافهم.

ولهذا الورد دلالات لا تخطئها العين العابرة، فضلا عن الرقابة المتأملة، ويمكن أن نشير إلى تلك الدلالات في النقاط الآتية:

١- ورودها بلفظ الماضي والمضارع يشير إلى أنها موجودة في كل زمان ومكان؛ إذ هي من خصائص بعض النفوس البشرية الموجودة في كل زمن ولا ينفرد بها عصر دون عصر.

٢- ورودها مسندة إلى المفرد والجمع يشير إلى أن الخيانة قد تكون من شخص، وقد تكون من مجموعة من الناس.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة: خون.

٣- ورودها بصيغ اسم الفاعل وصيغة المبالغة يشير إلى أنها تختلف من شخص إلى شخص، ومن وقت إلى وقت، فقد تكون الخيانة في صورة واضحة يسيرة، وقد تكون في صورة معقدة مركبة تشترك فيها أيدي وتآمرها مؤسسات وجهات، تلتقي على الشر، وتتوحد على الإثم والبغي والعدوان.

٤- أنه يقوم به أفراد وجماعات، ورجال ونساء يجمعهم قاسم مشترك، وهدف واحد، هو الرغبة في الانتقام من خصم مشترك، وعدو واحد فيجتمعون عليه، لا فرق بين رجل وامرأة وفرد ومجموعة.

٥- أنه وقع في الفترة المكية والفترة المدنية، وإن كان وقوعه في الفترة المكية لا يقارن بوقوعه في الفترة المدنية؛ فقد وقع في الآيات المكية ثلاث مرات، وفي الآيات المدنية ثلاث عشرة مرة، وهذا يشعر بالفرق الواضح بين مجتمع تحكمه أخلاق إنسانية مجتمعية ثابتة وإن اختلفت معها في قبولها ورفضها، وبين مجتمع يجمع أخلاطا من الناس، فتزداد فيه صور الخيانة وأنواعها، وينبغي أن نستصحب في ذلك طبيعة المجتمع العربي في مكة، الذي يقوم على أخلاق وأسس إنسانية ثابتة، يقبل منها ما يقبل، ويرد منها ما يرد، ومجتمع في المدينة يجمع أطيافا من اليهود أثروا في نسيجه الاجتماعي، وتركيبه القبلي، حتى خص القرآن الكريم ملامح ثابتة وقضايا أساسية في المجتمع المدني تختلف تماما عن القضايا التي كان يعالجها في المجتمع المكي.

### الاستعمال القرآني لمفردة الخيانة

وقد ورد الاستعمال القرآني للفظة الخيانة ومادتها على خمسة أوجه، وهي:

(الأول: في الدين والديانة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَوُّنُوا أَمْنَتِكُمْ﴾ .

الثاني: في المال والنعمة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ .

الثالث: في الشرع والسنة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ أَيِ إِنْ تَرَكُوا الْأَمَانَةَ فِي السُّنَّةِ فَقَدْ تَرَكُوهَا فِي الْفَرِيضَةِ.

الرابع: الخيانة: بمعنى الزنى ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾ أَيِ الزَّانِينَ.

الخامس: بمعنى نقض العهد والبيعة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أَيِ نَقْضِ عَهْدِهِ. <sup>(١)</sup>

وقد أيد المفسرون كثيرا من تلك المعاني على تباين في تناولهم، واختلاف في مشاربهم <sup>(٢)</sup>

(١) المفردات في غريب القرآن: (٦١٠). الباب في علوم الكتاب: (٩ / ٤٩٧)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: (٢ / ١٥٢).

(٢) انظر: الباب في علوم الكتاب: (٣ / ٣٠٧)، مفاتيح الغيب: (٥ / ٢٧٠)، جامع البيان: (١١ / ٢٨٧).

## المطلب الرابع: الألفاظ ذات الصلة

بيان الدلالة الكاملة لمفردة من مفردات اللغة يتوجب البحث عن مقارباتها ومرادفاتها حتى تتضح دوائر الاشتراك وقواسم الدلالة للكلمة، بما يزيدنا بيانا ووضوحا، وكذلك لتبين مفردة في القرآن ينبغي تتبع مقارباتها ومرادفاتها، ومن هنا نتبع بعض الألفاظ المقاربة لمفردة الخيانة في القرآن الكريم، ومن خلال التتبع نجد أن من هذه الألفاظ ما يأتي: المكر، الخداع، الكيد، السرقة،

### المكر:

من الألفاظ المقاربة للخيانة لفظة المكر، فالمكر: (صرف الغير عما يقصده بنوع من الحيلة...).

والمكر ضربان: محمود، وهو: ما يُتَحَرَّى به أمر جميل، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾، ومذموم وهو ما يُتَحَرَّى به فعل ذميم، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.<sup>(١)</sup>

النوع المقارب للخيانة بدهاءة هو المكر المذموم، وقد ورد الحديث عنه في القرآن الكريم في صورة واضحة بينة.

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٧٢)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤/ ٥١٦).

## ورود المكر في القرآن الكريم:

وقد ورد في القرآن الكريم الحديث عن المكر والماكرين (أربعا وأربعين مرة)<sup>(١)</sup>، شملت الفترتين المكية والمدنية، فورد الحديث عنه في الفترة المكية ستا وثلاثين مرة، وفي الفترة المدنية ثماني مرات.

وقد كان وروده بصيغ: الماضي والمضارع، والمصدر، واسم الفاعل، ووردت المادة مسندة إلى المخاطب والغائب، والمتكلم، والمذكر والمؤنث، وورد مضافا ومقطوعا عن الإضافة.

كما ورد مضافا إلى البشر بأصنافهم السابقة، ومضافا إلى الله (تعالى).

ومن خلال هذا الرصد يمكن أن نتلمس الملامح الآتية:

١- أن المكر حادث في بداية الدعوة وأثنائها، ومستمر في الحياة ما بقي على الأرض بشر وما كان على الأرض حياة وأحياء.

٢- أنه وقع في الماضي ويقع في الحاضر وسيقع في المستقبل، وكأنه لازمة من لوازم صنف من البشر، تملكه الضعف، ولم يقو على المنافسة الشريفة والخصومة النبيلة، خصومة الفرسان النبلاء، والأبطال الشجعان، على الرغم مما يكون معهم من خلاف، فيلجئون إلى المكر والخديعة، والكيد والمراوغة، ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، النحل: ٢٦.

٣- أنه يقوم به أفراد وجماعات ورجال ونساء يجمعهم قاسم مشترك وهدف واحد، هو الرغبة في الانتقام من خصم مشترك، وعدو واحد فيجتمعون عليه، لا فرق بين رجل وامرأة وفرد ومجموعة.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: مادة مكر.

٤- أن ورود لفظة المكر ومشتقاتها في الفترة المكية أكثر على عكس ما قد يتوقع بعض الناظرين، اعتماداً على فكرة أن المكر يقوم به الضعفاء في فترة ازدهار الدولة والدولة كانت في المدينة والدعوة كانت في مكة فيتوقع أن يكثر في المدينة كما كثر النفاق؛ لقوة الدولة وظهور سلطانها، لكن العجيب أن وروده في الفترة المكية أكثر وهذا دليل على ضعف الماكزين لا على قوتهم كما سيأتي، وكما هو واضح من وصف الماكزين في كل مدينة ب: (أكابر مجرميها).

٥- أن الله يمكر بالماكرين، ولا يدعهم يفسدون في الأرض بل يأتي بنيانهم من القواعد ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بَنَيْنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَسْعُرُونَ﴾ سورة: النحل: (٢٦).

٦- أن مكر الماكزين مرصود ومكتوب: ﴿إِنْ رُسُلَنَا يَكْفُرُونَ مَا تَمَكُرُونَ﴾، يونس: ٢١.

٧- أن المكر من سنن الله في الصراع بين الحق والباطل على كر الأزمان ومر الأعصار، وأن الله (تعالى) غير غافل عن مكرهم، وأنه عالم بما يبيتون، وأنه يمكر بهم مكرًا يليق بذاته (تعالى): ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِتُواكَ أَوْ يُقَتِّلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾، الأنفال: ٣٠.

٨- أن المجرمين يمكرون بكل ما أوتوا من قوة ﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا﴾ نوح: ٢٢.

- ٩- ويمكرون في الليل والنهار، ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، سبأ: ٣٣.  
 ١٠- وأن مكرهم شديد: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لَتَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾،  
 إبراهيم: ٤٦.

١١- أن مكر الماكرين إلى بوار: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ  
 شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَرُ﴾، فاطر: (١٠)

١٢- المكر يكون له رأس تدير معركته، ومجموعة (رهط) يجتمعون على هدف واحد، وإن كانوا في الأصل متفرقين، يقومون على الفساد والإفساد؛ لأنهم لا يعملون في جو طيب ولا صحيح، يلفون على الكذب، ويقسمون على الباطل، لكن عاقبة مكرهم دمارهم، ومن لف لفهم وشايعهم، وساندهم وأيدهم، ثم يكونون آية لمن حولهم ومن بعدهم، ثم ينجي الله المؤمنين.

١٣- أن الله (تعالى) يتدخل لحماية عبده الذي مكر به ﴿فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ  
 مَّامَكُرُوا وَحَاقَ بِكَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، غافر: (٤٥).

### الكيد

ومن الألفاظ المقاربة للخيانة لفظة الكيد، يقول صاحب مقاييس اللغة: (الكاف والياء والدال أصل صحيح يدل على معالجة لشيء بشدة، ثم يتسع الباب، وكله راجع إلى هذا الأصل. قال أهل اللغة: الكيد: المعالجة. قالوا: وكل شيء تعالجته فأنت تكيده. هذا هو الأصل في الباب، ثم يسمون المكر كيداً. قال الله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطور ٤٢] <sup>(١)</sup>

(١) مقاييس اللغة: (٥/ ١٢١)، العين للخليل بن أحمد: (١/ ٤٤٨)، المحيط في اللغة لابن عباد: (٢/ ٦٠)، أساس البلاغة (ص: ٥٥٤).

(والكيد الخبث والمكر كاده يكيده كيذا ومكيدة وكذلك المكايدة والكيد الاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب كيذا)<sup>(١)</sup>  
والكَيْدُ: (التدبير بباطل أو حقٌّ) والكيد: الحرب: «غزا النبي ﷺ ولم ير كَيْدًا»<sup>(٢)</sup>.

وكاده: أرادته بسوء. وبه فسر قوله تعالى لأكيدين أصنامكم . وكيد الله للكفار هو استدراجهم من حيث لا يعملون. والمكايدة: المخاتلة.<sup>(٣)</sup>  
ورود الكيد في القرآن الكريم:

وقد ورد لفظ الكيد في القرآن الكريم (خمسا وثلاثين مرة)<sup>(٤)</sup>، في العهد المكي والعهد المدني، ووردت بصور (كدنا، أكيد، لأكيدين، فيكيدوا، يكيدون، كيدون، كيدوني، كيد، كيدكم، كيدكن، كيده، كيدهن، ككيدي، المكيدون).

ويلاحظ من ورود المادة في القرآن الكريم بتلك الصيغ ما يأتي:

- ١- أن المادة وردت بصيغة الماضي المضارع والأمر، والمصدر، واسم المفعول، وفيها دلالة على وقوع الكيد في الماضي والحاضر والمستقبل.
- ٢- أن ورود المادة بصيغة الأمر فيه دلالة على تحدي أصحاب الحق للكائدين، وأنهم لا يرهبونهم، ولا يخشون جانبهم؛ لأن سنة الله في

(١) لسان العرب (٣/ ٣٨٣)، مقاييس اللغة (٥/ ١٢١).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٣/ ٣٩٧).

(٣) تاج العروس للزبيدي: (٩/ ٢١٠).

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة: كيد.

الكائدين واضحة معلومة، بل فيها دلالة على تحدي الله (تعالى) نفسه لهؤلاء المغرورين المخدوعين بكيدهم، وأنه تعالى يهددهم بأنه هو بذاته سيتولى الكيد لهم، والإغراء بهم، وفي ذلك من الترهيب من الكيد ما فيه لمن كان له قلب.

٣- أن الكيد يستعمل في الخير والشر، فكيد الله (تعالى) لا يحمل إلا على الخير

٤- أن الكيد ورد مضافاً إلى الفرد والجمع وفيه دليل على أنه يقوم به أفراد ومجموعات ومؤسسات.

٥- أنه ورد مضافاً إلى الذكور والنساء، وفيه دلالة على أن الكيد لا يتوقف على الجنس بل يشترك فيه الرجال والنساء، وورود الكيد مضافاً إلى النساء ووصفه بها وصف به دليل على تميزهن في الكيد أكثر من الرجال؛ لأنه يتناسب مع ما جبلن عليه.

### الغَل:

ومن الألفاظ المقاربة للخيانة لفظة: الغل والمادة تدل على التداخل والتخلل وعدم الوضوح، تقول كتب اللغة: (الغَلُّ أصله: تدرّج الشيء وتوسّطه، ومنه: الغَلُّ للماء الجاري بين الشجر، وقد يقال له: الغيل، وأنغَلَّ فيما بين الشجر: دخل فيه، فالغُلُّ مختصّ بما يقيد به، وجمعه أغلالٌ، وغُلَّ فلان: قيّد به)<sup>(١)</sup>

(١) المفردات: ١ / ٣٦٢.

وقد نص بعضهم على دلالة على الخيانة صراحة كقول الراغب في المفردات، وقد أورد حديث: ( « لا إِغْلَالَ ولا إِسْلَالَ » )<sup>(١)</sup> وفسره بقوله: ( لا خيانة ولا سرقة. وقوله عليه الصلاة والسلام: «ثلاث لا يَغْلُّ عليهنَّ قلب المؤمن»<sup>(٢)</sup> أي: لا يضرن. وروي: « لا يُغْلُّ » أي: لا يصير ذا خيانة، وأغْلَّ الجازر والسالخ: إذا ترك في الإهاب من اللحم شيئاً، وهو من الإغْلَالِ، أي: الخيانة، فكأنه خان في اللحم وتركه في الجلد الذي يحمله. والغُلَّةُ والغَلِيلُ: ما يتدرَّعه الإنسان في داخله من العطش، ومن شدَّة الوجد والغیظ. )<sup>(٣)</sup>.

وواضح من خلال الدلالة اللغوية لجذر الكلمة وتقلباتها علاقتها بالخيانة؛ فهي تشترك معها في الخفية والتسلل، والخديعة والغرر.

وقد عقب صاحب تاج العروس على قوله (تعالى): « وما كان لنبی أن یغل » بقوله: (أي يخون أي ينسب إلى الغلول وهي قراءة أصحاب عبد الله يريدون يسرق قاله ابن السكيت ونقله الفراء أيضاً وقيل : معناه على هذه : لا يخونه أصحابه أو لا يخان أي لا يؤخذ من غنيمته)<sup>(٤)</sup>

وفرق بعضهم بين الغلول والإغلال بأن (الغلول في المغنم خاصة والإغلال عام)<sup>(٥)</sup>

(١) مصنف ابن أبي شيبة: (ج ١٤ / ص ٤٤١).

(٢) مسند الصحابة في الكتب التسعة: (ج ٤٢ / ص ٤)، سنن الدارمي: (ج ١ / ص ٨٦)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعقيبه على الحديث: سنن الدارمي - (ج ١ / ص ٨٦)

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦١١).

(٤) تاج العروس (ص: ٧٣٨٣).

(٥) المغرب: (٤ / ٩٧)، لسان العرب: (١١ / ٤٩٩).

ورود لفظة الغل في القرآن الكريم:

وردت المادة في القرآن ست عشرة مرة ما يخص المعنى الذي يتناسب مع ما تناوله تكرر ثلاث مرات، وقد ورد بلفظ الماضي (غل)، والمضارع (يغلل).

### الخداع

ومن الألفاظ المقاربة للخيانة الخداع، (وهو إنزال الغير عمّا هو بصّدده بأمر يبيده على خلاف ما يخفيه).<sup>(١)</sup>

ورود لفظ الخداع في القرآن الكريم:

وورد لفظ الخداع ومادته في القرآن سبع مرات بصيغ: (يخدعونك، يخدعون، يخادعون، خادعهم).

وفي ورود لفظ الخداع في القرآن الكريم بتلك الصور دلالات منها:

١- أنها وردت بصيغة المضارع ولم يرد بلفظ الماضي ولا الأمر، وفي ذلك تنبيه على التيقظ لمؤامرات الخداع قبل وأثناء حدوثه، ولم يرد بلفظ الماضي حتى لا يكون تنبيهاً للأمر بعد وقوعه، وبدهي لم يرد بلفظ الأمر.

٢- أنه وردت بلفظ الفعل والمفاعلة، وهذا يدل على أن هذا الفعل يكون من طرفين، وكل حسب قدرته في المخادعة.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: (٢ / ٥٢٩)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٧٦)، المحكم والمحيط الأعظم: (١ / ٤٢)، المخصص لابن سيده: (١ / ٢٤١)، تاج العروس (ص: ٥١٧٤).

٣- وقد ورد اللفظ مضافا إلى الله تعالى وإلى البشر، وفي ذلك دلالة على أن من الخداع ما يكون لنصرة الحق، وفي تسمية صنيع الله بالمشركين مخادعة مجاز.

٤- وفي ورود اللفظة بصيغة الجمع في معظم المواطن إشارة إلى أن الخداع والمخادعة تكون غالبا من فئات ومجموعات.

والعلاقة بين الخيانة والخداع في مساحة الإخفاء وإيهام غير الحقيقة، فهو يصرفه عن الأمر الحقيقي بتمويه يدعيه حتى يصل إلى مراده.

### السرقه

ومن الألفاظ المقاربة للخيانة في معنى من المعاني لفظ السرقة، وهي في اللغة: (أخذ الشيء من الغير على وجه الخفية، وفي الشريعة في حق القطع: أخذ مكلف خفية قدر عشرة دراهم مضروبة محرزة بمكان أو حافظ، بلا شبهة)<sup>(١)</sup>

والاستراق: الختل كالذي يسترق السمع أي يقرب من السماء فيسمع ثم يذيع...، وكالكتبة يسترقون من بعض المحاسبات.<sup>(٢)</sup>

ورود لفظ السرقة في القرآن الكريم:

وورد لفظ السرقة في القرآن الكريم تسع مرات، وورد بصيغ: (سرق، يسرق، يسرقن، استرق، السارق، السارقة، سارقون).

(١) التعريفات للجرجاني (ص: ١٥٦).

(٢) العين، للخليل بن أحمد: (١/ ٣٨٢).

وفي ورود اللفظ بتلك الصيغ دلالات منها:

١- أنها وردت بلفظ الماضي والمضارع ولم ترد بلفظ الأمر بداهة، وفي ذلك دلالة على وجودها في الماضي والحاضر والمستقبل، ما وجد البشر على وجه البسيطة.

٢- ورودها مضافة إلى المذكر والمؤنث فيه دلالة على أنه يقوم بها رجال ونساء، ولا يختص بها جنس دون جنس.

٣- ورودها بلفظ المفرد والجمع في إشارة إلى أنها تقع من الفرد والمجموع.

٤- ورودها بلفظ الفعل والافتعال في إشارة إلى تنوعها وحاجة بعض أنواعها إلى الافتعال.

والعلاقة بين الخيانة والسرقه واضحه من ناحية الخفاء، وعدم الوضوح.

### النفاق

ومن الألفاظ المقاربة للخيانة لفظ النفاق، وهو: (إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب)<sup>(١)</sup>

والمادة تدل على الخفاء والإغماض، والانقطاع والذهاب، يقول صاحب البصائر: والنَّفَقُ، يدلُّ على انْقِطَاعِ الشَّيْءِ وَذَهَابِهِ، وَتَارَةً عَلَى إِخْفَاءِ الشَّيْءِ وَإِغْمَاضِهِ، وَعَلَى مُضِيِّ شَيْءٍ وَنَفَاذِهِ، وَمِنْهُ نَفَقَ الْبَيْعُ نَفَاقًا: رَاجَ<sup>(٢)</sup>،

(١) التعريفات، للجرجاني: (٣١١).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: (٥ / ١٠٤)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥ / ١٠٥).

ورود لفظ النفاق في القرآن الكريم:

وقد ورد لفظ النفاق في القرآن الكريم سبعا وثلاثين مرة، بصيغ: (نافقوا، النفاق، نفاقا، المنافقات، المنافقون)<sup>(١)</sup>

ويلاحظ أن لفظ النفاق ورد جميعه في السور المدنية، ولم يرد في السور القرآنية كما أكد ذلك بحوث علوم القرآن الكريم والعلاقة بين الخيانة والنفاق بينة في إظهار المرء خلاف ما يبطن، وإيهام الغير بغير الواقع.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة: نفاق.

## المبحث الثاني: أنواع الخيانة في القرآن:

الراصد لآيات القرآن الكريم يجد أنه بين أنواعا للخيانة متعددة، تحدثت عنها الآيات بوضوح وجلاء، فمنها ما يكون خيانة لله والرسول، ومنها ما يكون خيانة الدين، ومنها ما يكون خيانة للعرض، ومنها ما يكون خيانة للنفس والجوارح، ومنها ما يكون خيانة للأمانة، ومنها ما يكون خيانة للعهد، وفي الصفحات الآتية نتناول تلك الأنواع على النحو الآتي:

### المطلب الأول: خيانة الله ورسوله.

ومن أشد أنواع الخيانة: خيانة الله والرسول؛ ذلك أنها تتعلق بمنبع الهدى ومصدر الإنعام، وتدل على تدني نفسية الخائن؛ فمن يخن الله والرسول لا يؤتمن على شيء، وكيف يؤتمن وقد خان مصدر وجوده في الحياة، والمنعم عليه بها، وخان رسول الحق الذي أنقذه من الضلال إلى الهدى، ومن الشقاء الأبدي إلى السعادة الخالدة، ولقد تعددت أقول المفسرين في بيان المقصود من خيانة الله والرسول، فمنهم من يرى أن المقصود بخيانة الله تعالى والرسول هي كفرهم به وعدم إيمانهم بما بعث به رسوله، وتوحيدهم إياه، واستندوا في هذا إلى سبب نزول الآية الكريمة، فقد قال قتادة: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي السرح الكاتب حين ارتد ولحق بالمشركين<sup>(١)</sup>

(١) تفسير ابن كثير: (٤ / ٩٤).

وخيانتهم للرسول هي الغدر به والمكر والخداع له يابضهاهم لهو بالقول  
خلاف ما في أنفسهم<sup>(١)</sup>

أو خيانتة للرسول أي: (في السعي لحربه ومنازته)<sup>(٢)</sup>،

يقول صاحب الظلال: (لقد خانوا الله فأشركوا به غيره، ولم يفردوه  
سبحانه بالربوبية، وهو قد أخذ العهد على فطرتهم فخانوا عهده. فإن  
أرادوا خيانة رسوله - ﷺ - وهم أسرى في يديه، فلذكروا عاقبة خيانتهم  
الأولى التي أوقعتهم في الأسر، ومكنت منهم رسول الله وأولياءه.. والله  
«عليم» بسرائرهم «حكيم» في إيقاع العقاب بهم)<sup>(٣)</sup>

ومنهم من يرى أن المقصود من خيانة الرسول يظهر في نكثهم العهد  
والبيعة على الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم<sup>(٤)</sup>

وفي الآية طمأنة للرسول (ﷺ) ومن معه، وضمان لهم بأنهم إن خانهم  
الأسرى بعد رجوعهم إلى قومهم ونكثوا عهدهم وعادوا إلى القتال، بأن  
الله يَمَكِّنُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ مَرَّةً أُخْرَى، كَمَا أَمَكَّنَهُمْ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ<sup>(٥)</sup>

(١) تفسير الطبري: (١١ / ٢٨٧).

(٢) جامع البيان: (١٤ / ٧٥)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٢٧)، توفيق الرحمن في  
دروس القرآن (٢ / ٣١٥).

(٣) في ظلال القرآن (٣ / ١٥٥٤).

(٤) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٢٣٩)، جامع البيان ط هجر (١١ /  
١٢٠)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٢ / ٣٢٩)، محاسن التأويل: (٥ / ٣٢٩)،  
أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣ / ٦٨)، زاد المسير في علم التفسير (٢ / ٢٢٧)،  
التفسير المنير للزحيلي (١٠ / ٦٧).

(٥) التحرير والتنوير: (١٠ / ٨١).

وفي ذلك طمأنة لكل من وقعت عليه خيانة بأن الله (تعالى) مضت سنته في ذلك بأنه لا يهدي كيد الخائنين، ولا يضيع عمل من وقعت في حقهم تلك الخيانة.

كما يرى بعض المفسرين أن الخيانة المقصودة هنا هي شركهم بالله (تعالى)؛ فَإِنَّهُ خِيَانَةٌ لِلْعَهْدِ الْفِطْرِيِّ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى بَنِي آدَمَ فِيمَا حَكَاهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الْآيَةَ فَإِنَّ ذَلِكَ اسْتَقَرَّ فِي الْفِطْرَةِ، وَمَا مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَهِيَ تَشْعُرُ بِهِ، وَلَكِنَّهَا تُعَالِبُهَا ضَلَالَاتُ الْعَادَاتِ وَاتِّبَاعُ الْكُفْرَاءِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ<sup>(١)</sup>

ومنهم من يرى أن المقصود بخيانة الرسول: (تَرَكَ سُنَّتَهُ وَارْتَكَبَ مَعْصِيَتَهُ) <sup>(٢)</sup>

ومن المفسرين من عبر عن تلك الخيانة بالمعصية كما سبق، ومنهم من عبر عنها بالغدر والمكر والخداع، كالطبري في جامع البيان؛ إذ يقول: (وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين في أيديكم (خياتكم)، أي الغدر بك والمكر والخداع، بإظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم)<sup>(٣)</sup>

ومنهم من رآها في كذبهم على الرسول، وقولهم له: آمنا بك ونشهد أنك رسول الله <sup>(٤)</sup>

(١) التحرير والتنوير: (١٠ / ٨٢).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: (٥ / ١٦٨٤).

(٣) جامع البيان: (١٤ / ٧٥).

(٤) الوجيز للواحدى (ص: ٤٤٩).

ومنهم من رآها في (الإِخْلَالِ بِالسَّلَاحِ فِي البُعْوثِ) (١)

وكل تلك الصور التي ذكرها المفسرون ألوان من الخيانة لله والرسول، وتنوعها لا ينفي بعضها، ولا يخرجها من كونها خيانة لله والرسول.

### المطلب الثاني: خيانة الدين.

وخيانة الدين من أقبح الخيانات وكل الخيانات قبيحة؛ ذلك أنها خيانة للنعمة التي بدونها لا يكون الإنسان إنسانا، ولا يعيش إلا كما تعيش البهيم السائبة، بلا شرع ضابط ولا قانون رابط، يدل المرء على هدى أو يردده عن ردى، وقد رصد القرآن الكريم صورة من من أشد صور الخيانة للدين؛ لأنها كانت في بيئة يفترض أن تكون هي الناصر والمعين لنشر الدين ورفع رايته والدعوة إليه... لكم ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾، الرعد: ٣٣.

وتلك الصورة كانت في شخص امرأة نبي الله نوح وامرأة نبي الله لوط، إذ قال القرآن عنهما: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتِ نُوْحٍ وَأَمْرَاتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾، (التحریم: ١٠)

والخيانة المذكورة هنا هي خيانة الدين وليست خيانة العرض كما أجمع المفسرون على أنه ما خانته امرأة نبي قط.

فالخيانة هنا خيانة في الدين، وما بغت امرأة النبي قط. (٢)

(١) تفسير ابن أبي حاتم: (١٦٨٤ / ٥).

(٢) الكشف والبيان: (٣٥١ / ٩).

وقد نص الإمام الماوردي في النكت والعيون على أن خيانتها كانت في الدين، وأورد صورا أربعة كلها تمضي في نفس الاتجاه، فيقول: في خيانتها أربعة أوجه :

أحدها : أنها كانتا كافرتين ، فصارتا خائنتين بالكفر ، قاله السدي .

الثاني : منافقتين تظهرا الإيثار وتسترا الكفر ، وهذه خيانتها قال ابن عباس : ما بغت امرأة نبي قط ، إنما كانت خيانتها في الدين .

الثالث : أن خيانتها النميمة ، إذا أوحى الله تعالى إليهما [ شيئا ] أفشاه إلى المشركين ، قاله الضحاك .

الرابع : أن خيانة امرأة نوح أنها كانت تخبر الناس أنه مجنون ، وإذا آمن أحد به

أخبرت الجبابة به ، وخيانة امرأة لوط أنه كان إذا نزل به ضيف دخنت لتعلم قومها أنه قد نزل به ضيف<sup>(١)</sup>

وفي بناء الآية الكريمة وتركيبها ما يبين شناعة الخيانة في الدين، مهما كانت درجة القرب والصحة والمعايشة والمعاشرة، كما تبين صيانة الله (تعالى) وحفظه وكرامته للمخانين، وعدم نقصان حقهم، كما تبين أن الجزء من جنس العمل فكما استقلت المرأتان وتقدمتا في تلك الخيانة حتى عن بنات جنسهما زج بهما القرآن في صفوف الذكور في موطن لا محمودة فيه ولا كرامة، فقال (تعالى) ﴿ تَحَّتْ عِبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَلِحِينَ ﴾ ولم

(١) النكت والعيون : (٦ / ٤٦).

يقول : تحتها ، (بل أظهر بالوصف العبودية المضافة إليه سبحانه وتعالى والوصف بالصلاح لأن ذلك أفخم ، فيكون أشد تأثيراً للمواعظ وأعظم ، ودفعاً لأن يتوهم أحد بشيء لا يليق بمقامهما عليهما الصلاة والسلام ، فقال : ﴿ تَحْتَ عَبْدَيْنِ ﴾ أي كل واحدة منهما تحت عبد ، وعبر بذلك لأن أثر الناس عند الملك كما تقدم عبيده ، ودل على كثرة عبيده تنبيهاً على غناه بقوله : ﴿ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ .

ولما كانت طبقات القرب متفاوتة بحسب الصلاح قال ... ﴿ أَدْخَلَا النَّارَ ﴾ أي مقدماتها من الإصرار على الكفر ثم الإهلاك بعذاب الانتقام في الدنيا وحقيقتها في الآخرة لأن الله أبغضها لأنها عدو لأوليائه ، وذلك كما قيل

ولما فعلتا فعل الرجال في استقلالهما وعدم عدهما لأنفسهما تبعاً ، غلظ عذابهما بالكون مع الرجال في عذابهم فقال دالاً على نفوذ الحكم فيمن هو أقوى منهما بعد نفوذه فيهما : ﴿ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ أي الذين هم أعظم منهما ممن لهم وصلة بأهل الله ومن لا وصلة لهم بهم ، <sup>(١)</sup>

### المطلب الثالث: خيانة العرض

جاء الإسلام نقياً صافياً يرقى بالبشرية إلى مدارج السمو الأخلاقي والمادي، ويأخذ بيدها إلى مصاف الإنسانية الحقيقية التي لم تدنسها شهوانية ولم تغبرها أدناس الحياة، فوضع منهاجاً سليماً لصيانة الإنسان يحفظه من خيانة العرض واختلاس ما ليس له بحق، بداية من الدعوة إلى

(١) نظم الدرر : (٨ / ٥٧).

غض البصر، ومرورا بالنهي عن الاقتراب من الفاحشة، ووصولاً إلى بيان بشاعة الوقوع فيها، ووصفها بأنها فاحشة ومقت وساءت سبيلاً، وصور القرآن الكريم مشهداً من أدق المشاهد التي تبين طبيعة النفس البشرية وميولها، ومع ذلك صاغه في صورة راقية شفافة، لا تجرح شعوراً ولا تهيج ساكناً، وهو موقف زليخا من يوسف، وضمت الآية الكريمة في صدرها نفيًا للخيانة، وفي عجزها بياناً لسنة الله (تعالى) في الخائنين، وهي أن الله لا يهدي كيدهم، ولا يبلغهم مرادهم، ولا ينالون أمنياتهم.

فقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾،  
يوسف: (٥٢)

أي: (ذلك القول الذي قلته في تنزيهه والإقرار على نفسي ليعلم زوجي أنني لم أخنه بالكذب عليه، ولم تقع مني الفاحشة، وأنني راودته، واعترفت بذلك لإظهار براءتي وبراءته، وأن الله لا يوفق أهل الخيانة، ولا يرشدهم في خيانتهم).<sup>(١)</sup>

وكما يقول الإمام القرطبي: أي أقررت بالصدق ليعلم أنني لم أخنه بالغيب أي بالكذب عليه، ولم أذكره بسوء وهو غائب، بل صدقت وحدثت عن الخيانة.<sup>(٢)</sup>

(١) التفسير الميسر: (ج ٤ / ص ١٥٢). وانظر: البحر المديد - (ج ٣ / ص ٣٩٣)، تفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٣٩٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (ج ٩ / ص ٢٠٩)، تفسير ابن كثير: (ج ٤ / ص ٣٩٤).

وقد اختلف المفسرون فيمن قال هذا القول فذهب بعضهم إلى أنه من قول امرأة العزيز، وبعضهم إلى أنه من قول يوسف (ﷺ)، وواضح من السياق أنه من كلام امرأة العزيز، وكما اختلفوا في ذلك اختلفوا فيمن توجه هذا الكلام ﴿لِيَعْلَمَ﴾ لزوجها أم ليوسف؟، فقالوا: (يحتمل أن مرادها بذلك زوجها أي: ليعلم أي حين أقررت أي راودت يوسف، أي لم أخنه بالغيب، أي: لم يجر مني إلا مجرد المرادة، ولم أفسد عليه فراشه، ويحتمل أن المراد بذلك ليعلم يوسف حين أقررت أي أنا الذي راودته، وأنه صادق أي لم أخنه في حال غيبته عني. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْغَائِبِينَ﴾ فإن كل خائن، لا بد أن تعود خيانتته ومكره على نفسه، ولا بد أن يتبين أمره.)<sup>(١)</sup>

لقد أبان البيان القرآني عن المشهد بكل خصائصه، واحتفظ بكل شفافية ورقية لا يدغدغ الغرائز، ولا يثير الكوامن، (هذا الاعتراف وما بعده يصوره السياق هنا بألفاظ موحية، تشي بما وراءها من انفعالات ومشاعر. كما يشي الستار الرقيق بما وراءه في ترفع وتجمل في التعبير: ﴿أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾. شهادة كاملة بنظافته وبراءته وصدقه. لا تبالي المرأة ما وراءها مما يلم بها هي ويلحق بأردانها.)<sup>(٢)</sup>

(١) تفسير السعدي: (ج ١ / ص ٤٠٠)، تفسير التستري: (ج ١ / ص ٢٣٦)، تفسير الخازن: (ج ٣ / ص ٢٨٩).

(٢) في ظلال القرآن: (ج ٤ / ص ٣١٥).

تلك منهجية القرآن الكريم في تخلية المجتمع من أدران الجاهلية وتطهيرها من أرجاسها، ولا يتعالى على نوازع النفس البشرية بل يهدبها ويوظفها ويوجهها إلى طريقها الحق، ووجهتها الصحيحة، وما ضلت البشرية وارتكست في حمائها إلا بعد أن تخلت تعاليم الإسلام وتوجيهاته في حفظ العرض والحفاظ على نقاء الإنسان وطهارته.

### المطلب الرابع: خيانة النفس والجوارح

وكما أبان القرآن الكريم عن صور وألوان من الخيانات وبين منهجية التعامل معها تناول خيانة النفس في آيتين كريمتين منه، الأولى في مجال تعامل الزوج مع زوجه في بداية فرض الصيام، والثانية في نهي النبي (ﷺ) عن الدفاع عن الذين يفتنون أنفسهم بالسرقة واتهام الغير ظلماً وعدواناً، كما في واقعة طعمة بن أبيرق.

لكن كيف يخون الإنسان نفسه أو يختانها؟

قال المفسرون إن خيانة المرء نفسه تكون بتعريضها للعقاب، ونقصان حظها من الثواب.<sup>(١)</sup>

ويعلق ابن عرفة على هذا التركيب اللغوي بأنه من باب القلب ... ؛ لأن النفس هي الخائنة<sup>(٢)</sup>

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - (ج ١ / ص ١٦٦).

(٢) تفسير ابن عرفة المالكي - (ج ٢ / ص ٥٥١).

أو أن المعنى: (يظلمون أنفسهم بالخيانة والسرقه ويرمي بها اليهودي)<sup>(١)</sup>

وقد يكون معنى الاختيان إلقاء المرء نفسه إلى الخيانة<sup>(٢)</sup>

وقد يكون معنى الاختيان للنفس بما يعود عليها من الإثم والعقوبة في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>

أو: (اتباع النفس هواها ومرادها وترك نصيحتها)<sup>(٤)</sup>

ذلك أن مَنْ قدم على المَعْصِيَةِ ، فقد حَرَمَ نفسه الثَّوَابَ ، وأوصَلَهَا إلى العِقَابِ ، فكان ذلك مِنْهُ خِيَانَةً لِنَفْسِهِ ؛ وَهَذَا الْمَعْنَى ، قِيلَ لِمَنْ ظَلَمَ غَيْرَهُ : إِنَّهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ .<sup>(٥)</sup>

ونلاحظ في تعبير القرآن خاصة في صيغة (تختانون) ما يدل على الافتعال، لأن خيانة المرء نفسه ليست سهلة، بل تحتاج إلى جهد ومشقة؛ لأن الأصل فيه أنه يسعى إلى صلاحها وفلاحها وصيانتها، فعندما يعود الحارس لصا فقد اختان نفسه.

قال ابن قتيبة وطائفة من المفسرين : وجعلوا الإنسان قد خان نفسه، أي ظلمها بالسرقه كما فعل ابن أُبَيْرِق - أو بجماع امرأته ليلة الصيام كما

(١) الكشف والبيان - (ج ٣ / ص ٣٨٢)، تفسير الجلالين - (ج ١ / ص ١٢١)، اللباب في علوم الكتاب - (ج ٧ / ص ٧)، تفسير البغوي - (ج ٢ / ص ٢٨٤).

(٢) التحرير والتنوير: (ج ٢ / ص ١٨٣).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - (ج ٢ / ص ١٣٠).

(٤) تفسير السلمى - (ج ١ / ص ١٥٩).

(٥) اللباب في علوم الكتاب - (ج ٧ / ص ٧)، تفسير الألويسي - (ج ٤ / ص ٢١٩)، تفسير البيضاوي - (ج ١ / ص ٢٤٩)، تفسير السراج المنير - (ج ١ / ص ٢٦٥).

فعل بعض الصحابة - وهذا القول فيه نظر؛ فإن كل ذنب يذنبه الإنسان فقد ظلم فيه نفسه، سواء فعله سراً أو علانية. (١)

إن القرآن الكريم حفظ نفس العبد حتى من نفسه، ونصحها حتى من ذاتها؛ لأنها ثمينة عند الله فالإنسان هو خليفة الله في أرضه، والقائم بشرعه والمتعبد له به، فمنهاه عن تعريضها للظلم، أو تعرضها للعقاب والحساب، أو الدفاع عن الظالم، فكيف بمن يعين الظالم ويسعى له، ويحلل له فعله، ويبرر له ظلمه، بل يخرج له هذا الظلم بطريقة شرعية.

### المطلب الخامس خيانة الأمانة

اختلف المفسرون في بيان المقصود من خيانة الأمانة، بل اختلفوا في بيان وتحديد مفهوم الأمانة، فمنهم من يرى أن الأمانة: (هِيَ مَا يُخْفَى عَنْ أَعْيَنَ النَّاسِ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ) (٢)

ومنهم من يرى أنها (: الْأَعْمَالُ.... وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى الْأَمَانَاتِ هَاهُنَا: الدِّينُ) (٣)، كما قال ابن أبي حاتم أيضاً: (أَمَانَاتُكُمْ: دِينُكُمْ) (٤)

وعن ابن عباس في قوله: (وتخونوا أماناتكم)، الأمانة: الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني: الفريضة: يقول: لا تخونوا يعني: لا تنقضوها. (٥)

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) - (ج ٣ / ص ١٨١).

(٢) جامع البيان: (١١ / ١٢٤).

(٣) جامع البيان: (١١ / ١٢٥).

(٤) «تفسير ابن أبي حاتم: (٥ / ١٦٨٥).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم للإمام الرازي (٦ / ٢٩٠).

ومنهم من رآها في الغنيمة، ومنهم من جعلها في كل ما يؤتمن عليه الإنسان، يقول الإمام الماوردي: { وَتَخُونُوا أَمَانَتِكُمْ } فيه ثلاثة أوجه: أحدها: فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلى المغنم. الثاني: فيما ائتمن الله العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها بحقها ولا تخونها بتركها. والثالث: أنه على العموم في كل أمانة أن تؤدي ولا تخان.<sup>(١)</sup>

ويرى الإمام السمعاني أنها (في جميع الأمانات، نهي العباد عن الخيانة في الأمانات، وتدخل في الأمانات الطاعات؛ فإن الطاعات أمانات عند العباد على معنى أنها بينهم وبين ربهم أدوها أو لم يؤدوها).<sup>(٢)</sup>

ومنهم من جعل الأمانة هي النفس والأموال، بكل ما تشتمل عليه، (فعلى ذلك أنفسكم وأموالكم لله عندكم أمانة استحفظكم فيها، فإن استعملتموها في غير ما أذن لكم فيها، ختم الله والرسول فيها، فتخونوا أماناتكم التي لكم عند الله إذا ضيعتم الأمانة؛ كقوله: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ ﴾.

وقال بعضهم: قوله: ﴿ وَتَخُونُوا أَمَانَتِكُمْ ﴾، أي: ولا تخونوا أماناتكم التي فيما بينكم. وأصله: أنه - عز وجل - امتحنهم فيما امتحنهم لمنافع أنفسهم ولحاجتهم، فيصرون فيما خانوا فيما امتحنهم كأنهم خانوا أنفسهم وخانوا أماناتهم؛ كقوله: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾...

(١) النكت والعيون: (٢/ ٣١١)، محاسن التأويل: (٥/ ٢٧٩)، وانظر: أنوار التنزيل

وأسرار التأويل (٣/ ٥٦).

(٢) تفسير السمعاني (٢/ ٢٥٩).

وقوله - عز وجل -: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾. أن أنفسكم وأموالكم ليست لكم، إنما هي لله عندكم أمانة، فلا تخونوا فيها. (١)

ومنهم من ترقى في بيان الأمانة إلى درجة الحديث عن الأعمال والأحوال، بأن (الخيانة في الأعمال: الدعوى فيها بأنها من قبلك، دون التحقيق بأن منشئها الله.

والخيانة في الأحوال ملاحظتك لها دون غيبتك عن شهودها باستغراقك في شهود الحق، إن لم يكن استهلاكك في وجود الحق. وإذا أخللت بسنة من السنن أو أدب من آداب الشرع فتلك خيانة الرسول ﷺ.

والخيانة في الأمانات - بينك وبين الخلق - تكون بإيثار نصيب نفسك على نصيب المسلمين، بإرادة القلب فضلا عن المعاملة بالفعل. (٢)

ومن بدائع أهل التفسير وروائعهم حقا أنهم لمحوا مسؤولية الأمة عن ريادتها للبشرية، وتكليفها بقيادة الأمم إلى توحيد الله تعالى، وهدايتها إلى ربها، ودلالاتها عليه، وهذا ما يعبر عنه في عصرنا بالشهود الحضاري؛ إذ جعلوا معنى الأمانة التي كلف الله تعالى بها المسلمين أن مكلفون بذلك ومؤهلون له، بل حددوا مؤهلات هذا الشهود، ومقومات تلك المسؤولية، بأن الأمة وسط، وعدل ومؤتمنة على البشرية بأن الله تعالى جعل (هذه الأمة وسطا عدلا بقوله: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؛ فكأنه قال: يا أيها الذين آمنوا قد جعلكم الله أمماء عدلا وسطا، فلا تخونوا

(١) النكت والعيون (٢/ ٣١١).

(٢) لطائف الإشارات: (١/ ٦١٨).

الله فيه؛ كقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ . . .﴾ الآية، وقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، وقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .﴾، أخبر أنه ألزمهم الأمانة - أعني: البشر - دون ما ذكر من الخلائق فمنهم من ضيع تلك الأمانة؛ من نحو المنافقين والمشركين، وخانوا فيها، فلحقهم الوعيد بالتضييع.<sup>(١)</sup>

وفي هذا يقول صاحب الظلال (ﷺ): (إن التخلي عن تكاليف الأمة المسلمة في الأرض خيانة لله والرسول. فالقضية الأولى في هذا الدين هي قضية: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».. قضية إفراد الله - سبحانه - بالإلوهية والأخذ في هذا بما بلغه محمد - ﷺ - وحده... - ومن هنا كان التخلي عنها خيانة لله والرسول يحذر الله منها العصبة المسلمة التي آمنت به وأعلنت هذا الإيمان فأصبح متعينا أن تجاهد لتحقيق مدلوله الواقعي والنهوض بتكاليف هذا الجهاد في الأنفس والأموال والأولاد.

كذلك يحذرنا خيانة الأمانة التي حملتها يوم بايعت رسول الله - ﷺ - على الإسلام.

فالإسلام ليس كلمة تقال باللسان، وليس مجرد عبارات وأدعيات. إنما هو منهج حياة كاملة شاملة تعترضه العقبات والمشاق. إنه منهج لبناء واقع الحياة على قاعدة أن لا إله إلا الله وذلك برد الناس إلى العبودية لربهم الحق ورد المجتمع إلى حاكميته وشريعته، ورد الطغاة المعتدين على ألوهية الله وسلطانته من الطغيان

(١) تأويلات أهل السنة: (٥ / ١٨٣).

والاعتداء وتأمين الحق والعدل للناس جميعا وإقامة القسط بينهم بالميزان الثابت  
وتعمير الأرض والنهوض بتكاليف الخلافة فيها عن الله بمنهج الله..  
وكلها أمانات من لم ينهض بها فقد خانها وخاس بعهدة الذي عاهد الله عليه،  
ونقض بيعته التي بايع بها رسوله.<sup>(١)</sup>

وتلك في نظري أهم زاوية من زوايا الأمانة، وأعمق تعريف لها؛ لأنه  
يشمل كل التعاريف السابقة ويزيد عليها بيان مسؤولية الأمة عن ريادة  
العالم، وقيامها بمهمتها التي ندبها الله لها.

#### المطلب السادس: خيانة العهد

لقد رسم القرآن الكريم للبشرية منهاجا من الوفاء، لو اتبعته وسارت  
به لعزت في الدنيا ونجت في الآخرة، وتوالت وصايا القرآن الكريم  
مشددة على الوفاء بالعهد والبعد عن خيانتة، فقال تعالى: ﴿.. وَأَوْفُوا  
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾، الإسراء: (٣٤)

وحذرهم من نقضه والانتقال عليه، ونبههم إلى أن هذا العهد عهد  
مع الله، وأن الله كفيل عليهم فقال تعالى: ﴿.. وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ  
وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ  
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾، النحل: (٩١)

ووصف المؤمنين المفلحين بأنهم: ﴿لَأْمَنَّتْهُمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾، المؤمنون: (٨)

(١) في ظلال القرآن: (٣/ ١٤٩٧، ١٤٩٨).

وفي خيانة العهد تحدث القرآن الكريم مبينا ضرره وخطره ومنهاجية التعامل معه، كما يرد في عاقبتهم ومنهاجية التعامل معهم، وور هذا في قوله تعالى مخاطبا الرسول (ﷺ): ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾، وقد نص المفسرون على أن الخيانة هنا خيانة العهد، يقول الإمام الماوردي (رحمه الله): ( قوله عز وجل ) ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾، يعني: في نقض العهد.

﴿ فَأَنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾، ( أي فألق إليهم عهدهم حتى لا ينسبوك إلى الغدر . بهم . والنبذ هو الإلقاء )<sup>(١)</sup>

لقد ربط القرآن الكريم بين الكفر ونقض العهد والخيانة فيه؛ تفضيحا له، وبيانا لما هو فيه من شر وضرر، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْصُوتُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ٥٦ فَمَا نُنْفِئُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهَمٍ مِّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ٥٧ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾، الأنفال: ٥٨.

وبين للنبي أنه إن شعر منهم بالنقض أو بوادره ينبذ إليهم على سواء؛ ذلك أن الله لا يحب الخائنين، حتى ولو كان ذلك الفعل مع الكفار.

وعلى سواء هنا بمعنى البيان والوضوح، ذكر ابن أبي عادل الحنبلي: في الموضوع الرابع من مواضع معني كلمة سواء: أنها (بمعنى: البيان)<sup>(٢)</sup>.

(١) النكت والعيون: (٢ / ٣٢٨)

(٢) تفسير اللباب: (ص: ٤٢).

لقد حذر القرآن النبي من خيانة الخائنين، ومكر الماكرين ، وبين له أن تلك سمتهم وهذا ديدنهم، فقال له: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: «على خائنة»، أي: على معصية، وكانت خيانتهم نقض العهد، ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهمهم بقتله وسمه ونحوها من الخيانات التي ظهرت منهم. وبين أن هذه الخيانة طبع اليهود، لا يغادرونها ولا تغادرهم، ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني: مكرهم وغدرهم لك ولأصحابك<sup>(١)</sup> وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: يَعْنِي بِذَلِكَ تَمَالُؤُهُمْ عَلَى الْفِتَنِ بِالنَّبِيِّ، (صلى الله عليه وآله)<sup>(٢)</sup> وتلك من خلاتهم التي ورثوها من قبلهم وورثوها أولادهم وأحفادهم، والواقع المنظور خير دليل على ذلك.

(١) اللباب في علوم الكتاب (٧ / ٢٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣ / ٦٦).

## المبحث الثالث:

### طريقة التعامل مع الخائنين

المنتبع لآيات القرآن الكريم في قضية الخيانة يجد أنها رسمت في التعامل مع الخائنين منهاجا واضحا المعالم بين القسمات، لو طبقته الأمة المسلمة في التعامل معهم لنجوا من تكرار الخيانة في واقعهم، ولابتعدوا عن الوقوع فيها أفرادا وجماعات، وشعوبا وحكومات؛ ذلك المنهاج الحق، والطريق الصدق يتلخص في نقطتين هما عماد صلب هذا المبحث، الأول: عدم المدافعة عنهم، والثاني: طرح عهودهم، ونبذها نبذ النواة، ورميها كلية بعد التأكد من ميلهم إلى الخيانة، وبدو آثارها عليهم، ونلمح بداية من جمع الآيات الكريمة في هذه الزاوية، زاوية منهاج التعامل مع الخائنين أنها حددت منهاج التعامل معهم: أفرادا ودولا، فالأول يتمثل في عدم المدافعة عنهم، والثاني يتمثل في طرح عهودهم ونبذ معاهداتهم، ويمكننا أن نتبع ملامح هذا المنهاج وتفصيلاته على النحو الآتي:

#### المطلب الأول: عدم المدافعة عنهم

وأول طريقة من طرق التعامل مع الخائنين هي عدم المدافعة عنهم، أو التستر عليهم، حتى لا ينبت هذا الداء العضال في أوصال المسلمين، أو يعشش في بيوتهم وقلوبهم، وهو المجتمع الذي يتغيا الصفاء، ويبغي الطهر، ويسعى نحو الكمال البشري، ويبدو من ملامح الآية الكريمة التي تناولت تلك المنهجية، ومن خلال أسباب نزولها، أنها وقعت في أفراد من بين ثنايا المجتمع المسلم، قام به واحد، وشاركه آخرون، وسعى في الدفاع

عنه غيرهم، فنزلت الآيات الكريمة كما سيأتي تبين للجميع منهاجية القرآن العادلة في التعامل معهم.

ولنا أن نقف أمام الآية الكريمة التي تناولت تلك المنهجية حتى يتسنى لنا تبين معالم وملامح منهجية التعامل مع الخائنين، وسنجد الآية الكريمة تخاطب الرسول (ﷺ) قائلة: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٠٦﴾ وَلَا يُجَدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مَنِ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨﴾ هَتَأْتُمْ هَتُوءًا جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِلِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ١٠٩﴾. النساء: ١٠٦-١٠٩.

وأول ما نقف أمامه من تلك الآية الكريمة هو سبب نزولها؛ حتى يتسنى لنا تبين الجو الذي نزلت فيه زمانا، ومكانا، وأفرادا، فقد نزلت الآية في المدينة بمجتمعها الذي يجمع أنباطا من الناس: مؤمنين ومسلمين ومشركين ويهود ومنافقين، حتى يكون هذا نموذجا للمجتمع الجامع الذي يتعايش فيه الناس، متوحدين على قاسم مشترك، مهما تباينت رؤاهم، واختلفت توجهاتهم، وتنزل الآيات تبين الحكم الفصل الذي ينطبق على الجميع بما أن قيادة هذا المجتمع في أيدي المسلمين القيمين على البشرية بما أوتوا من مؤهلات تضعهم في الصدارة، وتعينهم على إقامة القسط والحكم بالعدل، ولو على أنفسهم والأقربين، كما سيتضح ذلك جليا في تضاعيف معالجة القرآن لهذا التعامل في قضية الخيانة.

وتذكر كتب التفسير وعلوم القرآن إجماعاً على نزول هذه الآيات في طعمة بن أبيرق، كما قال الإمام الكرماني: (أجمع المفسرون على أن هذه الآيات نزلت في طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر بن الحرث، إلا ابن بحر فإنه قال: نزلت في المنافقين...) (١)

وفصل ابن العربي سبب النزول بأن بني أبيرق سرقوا طعام رفاة بن زيد، واعتذر عنهم قومهم بأنهم أهل خير، فقال رسول الله (ﷺ) لقتادة بن النعمان ذلك، فطالبهم عن عمه رفاة بن زيد، فقال رفاة: الله المستعان، فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله (ﷺ) ونصر رفاة وأخزى الله بني أبيرق بقوله: { بما أراك الله } أي بما أعلمك، وذلك بوحى أو بنظر (٢)

كما يتبدى أيضاً من متابعة سبب النزول أن الآية نزلت نصرة لليهودي على مسلم؛ لأن الحق في جانب اليهودي، وفي ذلك من ملامح قيام الأمة الممثلة في رسوله (ﷺ) على إقامة الحق ما فيه، والمتأمل لسياق الآية ودلالات السياق والسباق واللاحق يجد ذلك بيننا، فصدر الآية يؤكد للرسول (ﷺ) أنه أنزل إليه الكتاب ليحكم بين (الناس) بالحق، ولك أن تتأمل (بين الناس)، وليس بين المسلمين فقط، (إنه مطلب تكليفي من الله للمسلمين حتى يشيع في كل الناس ولا يخص المؤمنين يتعاملون به فيما بينهم، وإنما يشمل أيضاً ما بين المؤمنين والكافرين، وما بين الكافرين بعضهم مع بعض إن ارتضوا حكم رسول الله، وحينما أمر الحق رسوله

(١) تفسير البحر المحیط أبو حيان الأندلسي: (٣ / ٢٧٩).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: (٢ / ٤٧٤)، أحكام القرآن للجصاص: (٣ /

أن يحكم بين الناس فذلك الحكم يقتضي عدم تمييز المؤمن على الكافر؛ لأن المسلمين هم القَوَّام، وهم خير أمة أخرجها الله للناس كافة. ولو فهم الناس أن خير الأمة الإسلامية عائد عليهم لما حاربوها. فنحن - المسلمين - لسنا خيراً لأنفسنا فقط، ولكننا أمة خير الناس جميعاً.<sup>(١)</sup>

وكما قال المفسرون: (وفي هذه الآية تشریف للرسول ﷺ)، وتفويض الأمور إليه بقوله: لتحكم بين الناس بما أراك الله.<sup>(٢)</sup>

إن الإسلام - والقرآن دستوره الخالد - يمتلك منهاج ريادة البشرية، والقدرة على العبور بها إلى بر الأمان، دون تفريق بين دين ودين، أو جنس وجنس، أو فصيل و فصيل، إن اليهود هم من أسسوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِينَ سَبِيلٌ﴾، ولكن الإسلام بما أنه كلمة الله الخاتمة إلى أهل الأرض يضع قانوناً عادلاً، ومنهاجاً وسطاً، الناس جميعهم أمامه سواء.

وكما قال شوقي في همزيته:<sup>٣</sup>

الله فوق الخلق فيها وحده      والناس تحت لوائها أكفاء<sup>(٣)</sup>

إننا إذا تابعنا النظر في جو الآيات والصيغ البنائية التي وردت عليها نجد دون عناء مدى حقية هذا الدين وعدالة هذا المنهاج، ففي مباشرة الخطاب للنبي ﷺ بضمير المخاطب (إليك)، (لتحكم)، (بما أراك الله)،

(١) تفسير الشعراوي: (٦٦٤).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: (٢ / ٤٧٤).

(٣) الشوقيات: ١ / ٣٩.

(ولا تكن للخائنين خصيماً)، ودلالة (خصيم)، وهي: (يجوز أن يكون مثال مبالغة، وأن يكون بمعنى مفاعل نحو: خليط وجليس بمعنى مخاصم ومخالط ومجالس).<sup>(١)</sup>، (واستغفر الله)، (ولا تجادل)، ودلالة الجمع (للخائنين) مع أن من وقعت منه الخيانة فعلياً واحداً لكن (جاء الجمع باعتباره واعتبار من شهد له بالبراءة من قومه كأسيد بن عروة ومن تابعه ممن زكاه، فكانوا شركاء له في الإثم، خصوصاً من يعلم أنه هو السارق. أو جاء الجمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانتته، فلا يخاصم لخائن قط، ولا يحاول عنه).<sup>(٢)</sup>

في كل ذلك ما يوحي بخطورة القضية، وعظم الواقعة.

إن خطابات القرآن الكريم للنبي (ﷺ) ترد في صورة حانية، هادئة، حتى في مواطن العتاب يخاطب النبي (ﷺ) بصيغ أهدأ وألطف، حتى يخاطبه بصيغة الغيبة في عتابه في ابن أم مكتوم: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ﴾، عبس: ١، ٢.

ويقدم العفو قبل بيان العتاب في: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ ۙ﴾ التوبة: ٤٣، أما هنا فالخطاب بصورة مباشرة، وبصيغة لافتة.

وإذا كان هذا الخطاب والتنبيه للنبي بتلك الصورة فهو لأمرته من باب أولى، (إننا نحس في التعبير صرامة، يفوح منها الغضب للحق، والغيرة على العدل، وتشيع في جو الآيات وتفيض منها، وأول ما يبدو هذا في

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون: (١٨١٦).

(٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: (٣/ ٢٨٠).

تذكير رسول الله (ﷺ) بتنزيل الكتاب إليه بالحق ليحكم بين الناس بما أراه الله، وإتباع هذا التذكير بالنهي عن أن يكون خصيما للخائنين، يدافع عنهم ويجادل. وتوجيهه لاستغفار الله - سبحانه - عن هذه المجادلة... ثم تكرار هذا النهي، ووصف هؤلاء الخائنين، الذين جادل عنهم - ﷺ - بأنهم يختانون أنفسهم. وتعليل ذلك بأن الله لا يحب من كان خوانا أثيما... وهم خانوا غيرهم في الظاهر. ولكنهم في الحقيقة خانوا أنفسهم. فقد خانوا الجماعة ومنهجها، ومبادئها التي تميزها وتفرد بها. وخانوا الأمانة الملقاة على الجماعة كلها، وهم منها. . ثم هم يختانون أنفسهم في صورة أخرى. صورة تعريض أنفسهم للإثم الذي يجازون عليه شر الجزاء. حيث يكرههم الله، ويعاقبهم بما أثموا. وهي خيانة للنفس من غير شك... وصورة ثالثة لخياتهم لأنفسهم، هي تلويث هذه الأنفس وتدنيسها بالمؤامرة والكذب والخيانة.<sup>(١)</sup>

لكن هل كان هؤلاء الذين دافعوا عن أبيرق يعلمون خيانتهم؟

إن المفسرين يقولون: إنهم (لم يكونوا أيضا على يقين من أمر الخائن وسرقته، ولكنه لم يكن لهم الحكم جائزا على اليهودي بالسرقة لأجل وجود الدرع في داره)<sup>(٢)</sup>.

وهذا يدل على أنه غير جائز لأحد أن يخاصم عن غيره في إثبات حق أو نفيه وهو غير عالم بحقيقة أمره لأن الله تعالى قد عاتب نبيه على مثله وأمره

(١) في ظلال القرآن: (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) أحكام القرآن للجصاص: (٣/ ٢٦٦).

بالاستغفار منه وهذه الآية وما بعدها من النهي عن المجادلة عن الخونة إلى آخر ما ذكر كله تأكيد للنهي عن معونة من لا يعلمه حقاً<sup>(١)</sup>

لكن أ كان النبي (ﷺ) هو المخاطب أصالة بهذا الخطاب أم كان المقصود من الخطاب أمته، وصدور الخطاب بهذه الصورة لشخص النبي (ﷺ) مقصود به تفخيم الأمر والتنبية على خطورته؟.

يرى بعض المفسرين أن النبي (ﷺ) لم يقصد شيئاً من ذلك، ولا علم له بالواقعة، لولا أطلعته (تعالى)، وعليه فلا نقص في اهتمامه، ولا درك يلحقه. وأن الآية خرجت مخرج التعريف بحقيقة الأمر في النازلة.<sup>(٢)</sup>

ويرى بعضهم أن الخطاب للنبي (ﷺ) والمراد به غيره ، كقوله: فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ( والنبي لا يشك مما أنزل الله ، فإن قيل : قد أمر بالاستغفار ( قلنا ) هو لا يوجب وجود الذنب ولا يجب أن يستغفر كما أمر في سورة الفتح بالاستغفار من غير ذنب مقدم).<sup>(٣)</sup>

وعلى كل حال فلا ينافي أن يكون الرسول مخاطباً بذلك أصالة مقام النبوة؛ فهو (ﷺ) بشر يوحى إليه، ولعل كون الخطاب له يشعر بعدالة السماء، فإذا كان القرآن قد تعامل مع أفضل الخلق بهذا فغيره من باب أولى.

(١) أحكام القرآن، للجصاص: (٣ / ٢٦٤).

(٢) البحر المديد: (١ / ٤٨٢).

(٣) الكشف والبيان، للنيسابوري: (٣ / ٣٨٢).

كما يبدو من الآية أن من منهج التعامل مع الخائنين عدم جواز المجادلة عنهم، وعدم جواز مجادلتهم هم عن أنفسهم، إذ كانت خائنة؛ (لها في السر أهواء وأفعال باطنة تخفى على الناس، فلا يجوز المجادلة عنها... فلا عتذار عن النفس بالباطل والجدال عنها لا يجوز.)<sup>(١)</sup>

### المطلب الثاني: طرح عهودهم

أما الملمح الثاني من ملامح منهج التعامل مع الخائنين، فيكمن في طرح عهودهم، ونبذ معاهداتهم، وهذا ما بينه قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وهذا واضح فيه أنه في جانب الدول والأمم، حيث المعاهدات والمواثيق، وإن لم ينص المفسرون على هذا المعنى صراحة، لكن ورود العهد والنبذ والحرب وتشريد بهم من خلفهم يوحي بكونها في جانب الأمم والدول.

ومعنى انبذ إليهم على سواء: أَعْلَمَهُمْ بِأَنَّكَ قَدْ نَقَضْتَ عَهْدَهُمْ حَتَّى يَبْقَى عِلْمُكَ وَعِلْمُهُمْ بِأَنَّكَ حَرَبٌ لَهُمْ، وَهُمْ حَرَبٌ لَكَ، وَأَنَّهُ لَا عَهْدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَلَى السَّوَاءِ، أَي: تَسْتَوِي أَنْتَ وَهُمْ فِي ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>

ومن تتبع كلام المفسرين في معنى (سواء)، يبين لنا أنها تدل على واحد من خمسة معاني: أحدها: على مهل، والثاني: على محاجة مما يفعل بهم، والثالث: على سواء في العلم حتى لا يسبقوك إلى فعل ما يريدونه بك. والرابع: على عدل من غير حيف... أي إلى العدل. والخامس: على الوسط<sup>(٣)</sup>

(١) تفسير ابن تيمية: (٣/ ٢٦٤ - ٢٦٦).

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ٧٩).

(٣) النكت والعيون: (٢/ ٣٢٨).

ومما يشعر بالجانب الحضاري في هذا الدين أن عدم حب الله للخائنين ليس مقصوراً على الخائنين للمسلمين فحسب، بل مطلق الخائنين أي: (حَتَّىٰ وَلَوْ فِي حَقِّ الْكَافِرِينَ، لَا يُجِبُّهَا أَيُّضًا).<sup>(١)</sup>

ولقد عاش الجيل القرآني الفريد هذا المعنى القرآني، وطبقه في تعاملاته، حتى كانوا نهاذج تحتذى للبشرية كلها، وفخراً حقيقياً لكل مسلم على كر الدهور والعصور، فعن سليم بن عامر قال: (كان معاوية يسير بأرض الروم وكان بينهم وبينه أمد فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضى الأمد غزاهم فإذا شيخ على دابة يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر إن رسول الله ﷺ)، قال من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء فبلغ ذلك معاوية فرجع وإذا الشيخ عمرو بن عبسة.<sup>(٢)</sup>

والمراد من خوف الخيانة ظهور آثارها، أو الإحساس ببدايتها، وليس ظن الخيانة، وليس الانتظار حتى يتمكن الخائنون، والنموذج التطبيقي لذلك (ما حدث من بني قريظة في مظاهرتهم أبا سفيان ومن معه من المشركين،<sup>(٣)</sup> وذلك في غزوة الأحزاب.

(١) تفسير ابن كثير: (٤ / ٧٩).

(٢) مسند أحمد: (٢٨ / ٢٢٩، ٢٣٠)، مسند الصحابة في الكتب التسعة: (٤٨ / ٤٣٢).

(٣) جامع البيان: (١١ / ٢٣٩)، تفسير السمعي: (٢ / ٢٧٤) مفاتيح الغيب: (١٥ / ٤٩٨).

وهذا هو ثبات المعايير، وصدق المبادئ في حضارة الإسلام، مع العدو والصديق، والقريب والبعيد، وتلك من مؤهلات الشهود الحضاري، الذي اختصت به أمة الإسلام.

ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة منهم لم يحتاج أن ينبذ إليهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله: {عَلَى سَوَاءٍ} وهنا قد كان معلوما عند الجميع غدرهم. ودل مفهومها أيضا أنه إذا لم يُخَفَّ منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته.<sup>(١)</sup>

(إن الإسلام يعاهد ليصون عهده فإذا خاف الخيانة من غيره نبذ العهد القائم جهره وعلانية ولم يخن ولم يغدر ولم يغش ولم يخذع وصارح الآخرين بأنه نفص يده من عهدهم. فليس بينه وبينهم أمان..)

وبذلك يرتفع الإسلام بالبشرية إلى آفاق من الشرف والاستقامة، وإلى آفاق من الأمن والطمأنينة.. إنه لا يبيت الآخرين بالهجوم الغادر الفاجر وهم آمنون مطمئنون إلى عهود ومواثيق لم تنقض ولم تنبذ ولا يروع الذين لم يأخذوا حذرهم حتى وهو يخشى الخيانة من جانبهم.. فأما بعد نبذ العهد فالحرب خدعة، لأن كل خصم قد أخذ حذره فإذا جازت الخدعة عليه فهو غير مغدور به إنما هو غافل! وكل وسائل الخدعة حينئذ مباحة لأنها ليست غادرة! إن الإسلام يريد للبشرية أن ترتفع ويريد للبشرية أن تعف فلا يبيح الغدر في سبيل الغلب وهو يكافح لأسمى الغايات وأشرف المقاصد ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة.

(١) تيسير الكريم الرحمن: (٣٢٤)، تفسير العزبن عبد السلام: (١ / ٥٤١).

إن الإسلام يكره الخيانة، ويحتقر الخائنين الذين ينقضون العهود ومن ثم لا يجب للمسلمين أن يخونوا أمانة العهد في سبيل غاية مهما تكن شريفة.. إن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ ومتى استحلت لنفسها وسيلة خسيصة، فلا يمكن أن تظل محافظة على غاية شريفة.. وليس مسلماً من يبرر الوسيلة بالغاية، فهذا المبدأ غريب على الحس الإسلامي والحساسية الإسلامية، لأنه لا انفصال في تكوين النفس البشرية وعالمها بين الوسائل والغايات.. إن الشط الممرع لا يغري المسلم بخوض بركة من الوحل، فإن الشط الممرع لا بد أن تلوثه الأقدام الملوثة في النهاية.. من أجل هذا كله يكره الله الخائنين ويكره الله الخيانة.

ويجب أن نذكر أن هذه الأحكام كانت تنزل والبشرية بجملتها لا تتطلع إلى مثل هذا الأفق المشرق. لقد كان قانون الغابة هو قانون المتحاربين حتى ذلك الزمان.. قانون القوة التي لا تتقيد بقيد متى قدرت.<sup>(١)</sup>

ومن منهجية التعامل مع الخائنين التي رصدها القرآن الكريم، ودل عليها صريح الآيات وبينها سياقها أننا بعد النبذ إليهم على سواء، لا بد من مناجزتهم، وعدم تركهم يعيشون في الأرض فساداً، يفرخون فسادهم، ويدبرون مكائدهم، فمن أمن العقوبة أساء الأدب، كما قالوا في أدبنا العربي، ولذلك تجد الآية السابقة عليها في نفس سياقها تقول: ﴿فَأَمَّا نَفَقَاتِهِمْ فِي الْحَرَبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ﴾، الأنفال: (٥٧).

(١) في ظلال القرآن: (٣/١٥٤٢، ١٥٤٣).

والمعنى: (نكل بهؤلاء الذين جاءوا لحربك أو نقضوا عهدك تنكيلا يفرق بينهم من خلفهم من جماعاتهم).<sup>(١)</sup>

ذلك أن من الناس من لا يرعوي حتى يرى العقوبة ماثلة، بل في ذلك ما يجعلهم عبرة لكل من يجترأ على حرمان الديار وخضر الزمار، كما ختمت الآية ب(لعلهم يذكرون (أي لعل المرشدين يتعظون بما شاهدوا ما نزل بالناقضين، فيرتدعوا عن النقض أو عن الكفر)<sup>(٢)</sup>

وفي تذييل الآية الكريمة بعدم حب الله (تعالى) للخائنين لطائف بديعة، منها أنه تعليل للأمر بالنبذ، وأن الله (تعالى) لا يحب من كانت الخيانة طبعه، وفيه من طمأنة الرسول ومن سار على منهاجه ما فيه؛ فكون هؤلاء الخائنين محرومين من حب الله لهم يعني أنهم محرومون من الأمن والهداية، ومحرومون من النصر والغلب، وممنوعون من التمكن، فمن حرم حب الله (تعالى) حرم كل خير، وتخلت عنه كل سعادة.

كما تلمح من هذا التذييل والتعليل البديع إشارة من القرآن الكريم للرسول بمناجزة قتال الخائنين، وعدم تركهم، ما دام يقن من عزمهم على الخيانة، ففي التذييل (تعليل للأمر بالنبذ، إما باعتبار استلزامه النهي عن مناجزة القتال، لكونها خيانة، فيكون تحذيرا له ﷺ منها، وإما باعتبار استتباعه للقتال، فيكون حثا له ﷺ على النبذ أولا، وعلى قتالهم ثانيا، كأنه قيل. وإما تعلمن من قوم خيانة فانبذ إليهم، ثم قاتلهم)<sup>(٣)</sup>

(١) تفسير السمعاني: (٢/ ٢٧٤)

(٢) محاسن التأويل: (٥/ ٣١٣).

(٣) محاسن التأويل: (٥/ ٣١٤).

وفي ذلك بيان صريح لمنهجية التعامل مع الخائنين في المستقبل، فيا ليت قومي يعلمون، يقول الإمام أبو السعود: (الظاهر أن هذا استثناء كلام، أخبره الله تعالى بما يصنع في المستقبل مع من يخاف منه خيانة إلى سالف الدهر.)<sup>(١)</sup>

بل جعلها صاحب المنار قاعدة، من (القواعد الحربية العسكرية والسياسية) التي اشتملت عليها سورة الأنفال، فقال في (القاعدة التاسعة): (وجوب معاملة ناقضي العهد بالشدة التي يكونون بها عبرة ونكالا لغيرهم، تمنعهم من الجرأة والإقدام على مثل خيانتهم بنقضهم... ومنه يظهر الفرق بين تعاليم الإسلام الجامعة بين الحزم والعدل، والشدة والفضل، وبين ما عليه دول المدنية الإفرنجية من القسوة والظلم.)<sup>(٢)</sup>

إننا أمام نظرية قرآنية جامعة ومنهجية متكاملة في التعامل مع الخائنين، سواء كانوا أفراداً أم دولاً، وسواء كانت الخيانة مادية أم معنوية، إذا أخذ المسلمون بتلك المنهجية في تعاملهم مع هؤلاء الخائنين، كفوا شرهم، ومنعوا أذاهم، ووأدوا فتنهم في جحرها، ودفنوها في مهدها، ولا يتنافى هذا مع السماحة والندى، فلكل حلة لبوسها، ولكل عقوبة جزاؤها، وقديماً كان العرب بفطرتهم الصحيحة يتفهمون هذا المعنى، ويدركون قيمة القوة في مكانها، والمسماحة في بابها، فقالوا:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

(١) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٣٤٠).

(٢) تفسير المنار: (١٠/ ١٢٧).

## المبحث الرابع:

### عاقبة الخائنين

الله (ﷻ) في الخائنين سنن ثابتة لا تتحول ولا تتبدل، نصت عليها آيات القرآن الكريم، وتناولتها سنة الرسول (ﷺ)، ومن سنته في الخائنين عاقبته لهم، التي تتلاقى فيها عطاءات الكتاب المسطور مع الكتاب المنظور، حتى يبدو تنزيل النصوص على الواقع المعيش آية من آيات الله، تزيد المؤمنين برهم إيماناً على إيمانهم، ويقينا على يقينهم، وتحذوا الشاردين إلى مراجعة أمورهم، والتبصر بمواقفهم، ومواقعهم، ومن تلك العاقبة، أنه يحرمهم من الهداية إلى الحق، فلا يبصرونه، وإن كان أبين من الصبح لذي عينين، وأوضأ من الشمس في رابعة النهار، ويحرمهم من محبة الله (ﷻ)، فيحرمون بحرمانهم من محبته كل ما يتصل بذلك الحب، من الراحة والأمان، والثبات والاطمئنان، وأنه يبطل كيدهم، ويفل حدهم، ويجعل دائرة السوء عليهم، ثم تكون نهايتهم الهلاك؛ ليكونوا لغيرهم عبرة وآية، ويمكننا أن نناول تلك العاقبة في النقاط الآتية:

#### المطلب الأول: حرمان الهداية إلى الحق.

ومن عقوبات الله تعالى للخائنين: أنه تعالى يحرمهم الهداية إلى الحق، والوصول إلى الصراط المستقيم، فهداية الله نوعان: هداية دلالة وإرشاد، وهداية معونة وتوفيق، فالله تعالى يهدي عباده إلى طريقه المستقيم، ويعينهم على تلك الهداية، أما الناكثون عن طريق الحق، الرافضون لمنهاج الصدق فالله (تعالى) يكلهم إلى أنفسهم، ويخليهم إلى قدرتهم، وفي

ذلك يقول تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (يونس: ٢٥). ويقول لرسوله (ﷺ): ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾، القصص: ٥٦. والآيات الكريمة في ذلك كثيرة.

وقد نصت آيات بعينها على حرمان الخائنين من هداية الله، كقوله (تعالى): ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾، يوسف: ٥٢.

والمعنى: (لا ينفذه ولا يسدده. أو لا يهدي الخائنين ليكدهم. وأوقع الفعل على الكيد مبالغة)<sup>(١)</sup>

(أي: لا يصلح)<sup>(٢)</sup>، أو: (وأن الله لا يوفق أهل الخيانة، ولا يرشدهم في خيانتهم).<sup>(٣)</sup>، أو أنه تعالى (لا يهدي الخائنين بكيدهم)<sup>(٤)</sup>.

(قال السدي: يعني لا يصلح عمل الزناة)<sup>(٥)</sup>

ومن بدائع القرآن الكريم ومنهاجيته في البيان عن تلك القضية أنه أوردها بصورة قاعدية سننية، تمضي على الجميع، وتعم كل الخائنين، وهذا ما نلمحه من تذييل الآية الكريمة: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ يوسف: ٥٢.

(١) البحر المديد: ٣/ ١١٤. تفسير البيضاوي: (٣/ ١٦٣).

(٢) اللباب في علوم الكتاب: (١/ ٢٧٤)

(٣) التفسير الميسر: (١/ ٣٧٧).

(٤) النكت والعيون: (٣/ ٤٧).

(٥) تفسير ابن أبي زمنين: (١/ ٣٠٧).

فهي واردة في حادثة معينة، ومع ذلك وردت في صورة عامة بتلك الصورة البنائية البيانية المعبرة.

ومن لطائف الكتاب العزيز هنا أنه عبر عن الزنا بالخيانة، ذلك أن هذا الفعل في حق الزوج خيانة، ولعل السر في التعبير بهذه الصيغة التنزه عن ذكر اللفظ في هذا المقام، وإن كان قد ورد في موطن آخر، والتنبية على استبشاعه؛ حيث جرمه يلحق أكثر من طرف: الزوج، والولي، وكل من يهمله أمرها، بل المجتمع بأسره.

كما عبر عن تيسير الوصول بالهداية، وعبر عن تركه بتركها؛ مبالغة في بيان تلك العقوبة التي تلحق الخائنين، وتعمهم؛ (لئلا يتوهم أن الحديث عن خائن معين تعني نفسها فيصير الجمع في هذه المواطن قرينة على قصد الاستغراق.... فأطلقت الهداية التي هي الإرشاد إلى الطريق الموصلة على تيسير الوصول، وأطلق نفيها على نفي ذلك التيسير، أي أن سنة الله في الكون جرت على أن فنون الباطل وإن راجت أوائلها لا تلبث أن تنقشع<sup>(١)</sup>) كما قال (تعالى): ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (سورة الأنبياء: ١٨).

(أي: أنها أقرت بأنه سبحانه وتعالى لا يُنفذ كيد الخائنين، ولا يُوصِّله إلى غايته.)<sup>(٢)</sup>

(١) التحرير والتنوير: (١٢/ ٢٩٣)، تفسير الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٢/ ٤٥٢)، تفسير أطفيش: (٤/ ٣٤٥).

(٢) تفسير الشعراوي: (١٦٣٥).

وفي هذا التذييل البديع طمأنة لقلوب من وقعت عليهم الخيانة، وتسرية عن نفوسهم، حيث إن الله (تعالى) وعدهم أنه لا يهدي كيد من خانهم، ولا يوليهم إلى غايتهم التي خانوا من أجلها، كما أن (فيه إشارة إلى أن الله تعالى يوصل عباده الصادقين بعد الغم إلى السرور ويخرجهم من الظلمات إلى النور)<sup>(١)</sup>، (لا يرشد من خان أمانته، ويفضحه في عاقبته)<sup>(٢)</sup>. والنص على إبطال كيد الخائنين ينبه على أن غير الخائنين يهديهم الله (تعالى)، ويصلح أعمالهم؛ لأنه (تعالى) (خص الخائنين تنبيهاً أنه قد يهدي كيد من لم يقصد بكيده خيانة ككيد يوسف بأخيه وقوله (لأكيدن أصنامكم) أي لأريدن بها سوءاً).<sup>(٣)</sup>

ومن أبرز الدلائل على عدم هداية الله للخائنين، وأنه لا ينعم عليهم بأن يكونوا في سبيله الحق، أو على طريقه المستقيم، أنه يجرمهم من اتباعه، ويخلي بينهم وبينه ولو كانت مصادر الهداية أقرب ما تكون منهم، أو كانت بواكير الوحي بين أيديهم، وفي بيوتهم، وأقرب مثال لذلك بيوت كانت بيوت النبوة، وأشخاص عاصروها، وعاشروها في حياتهم، ونزل الوحي في مساكنهم، ومع ذلك لم يتنسوا عبيره، ولم يجدوا ريحه، وليس مثال امرأة نبي الله نوح وامرأة نبي الله لوط اللتين قال الله عنهما: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ سَعِيًّا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾، التحريم: ١٠. عنا ببعيد.

(١) تفسير حقي: (٦ / ١١٩).

(٢) زاد المسير في علم التفسير: (١١٣ / ٥٢)، وتفسير مقاتل بن سليمان: (٢ / ١٥٣).

(٣) مفردات غريب القرآن للأصفهاني: (٤٤٣).

أي : (كانتا في عصمة نبين عظيمين، متمكنين من تحصيل خير الدنيا والآخرة، وحياسة سعادتهما، ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ بإفشاء سرهما، أو بالكفر والنفاق، ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: فلم يغن الرسولان عن المرأتين بحق ما بينهما من الزواج شيئاً من الإغناء من عذاب الله تعالى، ﴿وَقِيلَ﴾ لهما عند موتها، أو يوم القيامة: ﴿أَدْخَلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ أي: مع سائر الداخلين من الكفرة، الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء .

قال القشيري : لما سبقت للمرأتين الفرقة يوم القسمة لم تنفعهما القرابة يوم العقوبة، قال ابن عطية : وقول من قال : إن في المثلين عبرة لأزواج النبي ﷺ بعيد، قلت : لا بعد فيه لذكره إثر تأديب المرأتين ، وليس فيه غض لجانبهن المعظم ، إنما فيه إيقاظ وإرشاد لما يزيدهم شرفاً وقرباً من تعظيم الرسول ﷺ وطاعته ، وصيانة سره ، والمسايرة إلى ما فيه محبته ورضاه ، وكل من نصحك فقد أحبك ، وكل من أهملك فقد مقتك. (١)

وليس هذا المثل خاصاً بمن ضرب لهم، كعادة القرآن في منهجياته، بل عادة ضرب الأمثال في اللغة، فكل من خان وتكب الطريق عقوبته الحرمان والتهيه وعدم الدلالة وفقدان الهداية.

ففي (ضرب هذا المثل دليل على أن القرب من الأنبياء، والصالحين، لا يفيد شيئاً مع العمل السيئ). (٢)

(١) البحر المديد: (٦ / ٣٦٥).

(٢) التفسير الميسر: (١٠ / ١٨٧).

وتناول المفسرون هنا بتفصيل معنى الخيانة منها والمقصود بها، ونفوا نفيًا أكيدا الخيانة الزوجية لعصمة الله تعالى أنبياءه من أن تكون أزواجهم على شيء من هذا، فيقول الإمام الماوردي:

(في خيانتها أربعة أوجه:

أحدها: أنها كانتا كافرتين، فصارتا خائنتين بالكفر، قاله السدي.

الثاني: منافقتين تظهرا للإيمان وتستران الكفر، وهذه خيانتها قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتها في الدين.

الثالث: أن خيانتها النميمة، إذا أوحى الله تعالى إليهما [ شيئًا ] أفشياه إلى المشركين، قاله الضحاك.

الرابع: أن خيانة امرأة نوح أنها كانت تخبر الناس أنه مجنون<sup>(١)</sup>

ونحن نلاحظ أن محور دوران الخيانة هنا على خيانة الدين، سواء كان ذلك عن طرق عدم إيمانها بهذا الدين، أو بالنفاق فيه، أو بالسعي بالنميمة إلى المشركين بكل ما يوحى الله تعالى به إلى نبيه، أو بالسفه على أنبيائه، واتهامهم بالجنون، ودفع الناس عن السماع لهم، والإيمان بهم، كما نلاحظ تناسب الجزاء مع العمل، فهم وقفوا دون بلاغ الرسالة إلى الناس، فكان عاقبتهم أن يجرموا خير هذه الرسالة، ولو كان حاملها أقرب الناس إليهم، وتلك سنة الله التي لا تتبدل في عباده، وميزانه الحق الذي لا يميده ولا يجيده.

(١) النكت والعيون: (٦ / ٤٦).

فهم مع قربهما من مصدر الوحي، وصلتهما بمنع الرسالة لم يغنيا عنهما من الله شيئاً؛ (تبيينها بذلك على أن العذاب يدفع بالطاعة دون الوسيلة).<sup>(١)</sup>، ودخلتا النار (مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام)<sup>(٢)</sup>.

وفي ذلك بيان واضح لمن أراد أن يذكر، وعبرة لمن أراد أن يعتبر، وورود هذا المثل بعد أن ذكر في صدر السورة ما يتعلق بأزواج النبي (ﷺ) إشارة إلى أنهن لا ينفعهن قربهن من النبي دون عملهن وطاعتهن، (وكذلك كفار مكة وإن كانوا أقرباء النبي (ﷺ) لا ينفعهم صلاح النبي ﷺ، وكذلك أزواجه إذا خالفنه)<sup>(٣)</sup>

وفي ذكر المثل في الآية الكريمة دليل على عموم القاعدة، وسننية القضية، وأنه ينسحب حكمها على كل من جمع صفاتها، يقول الخازن: (وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وأنه لا ينفع العاصي طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وإن كانت القرابة متصلة بينهم وأن القريب كالأجانب بل أبعد وإن كان القريب الذي يتصل به الكافر نبياً)<sup>(٤)</sup>

(١) النكت والعيون: (٦ / ٤٧).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: (٤ / ٤٣)، بحر العلوم: (٣ / ٤٤٩).

(٣) تفسير ابن كثير: (٨ / ١٧١)، تفسير السمرقندي (٥ / ٤٦٦)، تفسير البيضاوي (٥ / ٣٥٨) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (٣ / ٤٤٨)، تفسير القرطبي: (١٨ / ٢٠٢).

(٤) تفسير الخازن: (٧ / ١٢٣).

وهذه لمحة من لمحات العدالة المطلقة في شريعة الإسلام فلا قرب ولا بعد إلا بالعمل، ولا نسب ولا شرف إلا برضا الله (تعالى)، كما أنها سمة من سمات التأهل للشهود الحضاري، وريادة البشرية على منهاج عدل، (فإن الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة إلا ما كان منها متصلا بالله وحده على أيدي رسله فلو نفعت وصلة القرابة والمصاهرة أو النكاح مع عدم الإيمان لنفعت الوصلة التي كانت بين لوط ونوح وامراتيهما فلما لم يغنيا عنها من الله شيئا ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>)

وتلك ( سنة الله فيمن توغل في الظلم والشر والفساد أنه يحرم التوبة فلا يموت إلا كافرا)<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: حرمان محبة الله (ﷻ)

ومن أقسى عقوبات الله تعالى للخائنين: أنه يحرمهم محبته، ويمنعهم مودته، تلك المحبة التي هي سبب كل خير، وعدمها سبب كل بلاء وضرر. ومحبة الله معناها: (مراعاته لهم)<sup>(٣)</sup>، أو هي: (حالة لا يعبر عنها مقالة)<sup>(٤)</sup>.

وقال صاحب البصائر: (ولا يُجَدُّ المحبّة بحدّ أوضح منها، والحدود لا تزيدها إلاّ خفاءً وجفاءً فحدّها وجودها. ولا توصف المحبّة بوصف

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: (١/ ٢٢٢).

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: (٣/ ٢٦٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن: (٨٦٠).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف: (٢٩٩).

أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها<sup>(١)</sup>

وقد نصت آيات القرآن الكريم على تلك العقوبة، فقد أمر (تعالى) رسوله (ﷺ) في تعامله مع من يخاف خيانتهم أن ينبذ إليهم عهده ١ على بيان ووضوح؛ ذلك أن الله (تعالى) لا يحب الخائنين، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافَتْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَاَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾، الأنفال: (٥٨)

وقال في بيان سبب من أسباب مدافعتة عن المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾، الحج: (٣٨)

وقال في سبب نهيهِ عن المجادلة عن الذين يختانون أنفسهم: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ النساء: (١٠٧) أي: (لا يرضى فعلهم، وهو تعليل للأمر بالنبد والنهي عن المناجزة القتال المدلول عليه بالحال)<sup>(٢)</sup>

فالله لا يجهم؛ (لأنهم متصفون بالخيانة فلا تستمر على عهدهم فتكون معاهدا لمن لا يجهم الله؛ ولأن الله لا يحب أن تكون أنت من الخائنين)<sup>(٣)</sup> وموقع التذليل هذا من الآية ووروده عقب هذا الأمر بمناجرتهم والمناجزة إليهم على سواء مشعر بعلية عدم حب الله للخائنين، ويحتمل أن

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: (٢ / ٤١٦).

(٢) البحر المديد: (٢ / ٣٦٨).

(٣) التحرير والتنوير: (١٠ / ٥٣).

تكون تلك الجملة الكريمة تعليلاً معنوياً للأمر بنبذ العهد على عدل، وهو إعلامهم، وأن تكون مستأنفة سيقت لدم من خان رسول الله (ﷺ) ونقض عهده.<sup>(١)</sup>

ومن روائع المنهاج القرآني أنه أورد صيغة عدم الحب خالية عن تحديدها حتى تكون عامة شاملة، سواء كانت تلك الخيانة في حق المؤمنين أو في حق الكافرين، أي: (حتى ولو في حق الكافرين، لا يجبها أيضاً).<sup>(٢)</sup>. وفي ذلك من خصائص السننية من الاطراد والعموم والشمول ما فيه. كما أن في ذلك من دلالات تهيئة الأمة للشهود الحضاري ما لا يخفى؛ فالإسلام-والقرآن دستوره- ينهى عن الخيانة ولا يجب أصحابها، ولو كانت في حق الكافرين، ويؤمر نبيه بأن ينبذ إليهم على سواء، ولا يباغتهم قبل أن يعرفوا نقض عهدهم، وعلى سواء بما تحمله تلك الكلمة من بيان أي على وضوح وجلاء، أو: (بحيث يصل الخبر إليهم ويستتون في معرفته)<sup>(٣)</sup>

(وحاصل الكلام في هذه الآية أنه تعالى أمره بنبذ من ينقض العهد على أقبح الوجوه وأمره أن يتباعد على أقصى الوجوه من كل ما يوهم نكث العهد ونقضه)<sup>(٤)</sup>

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون: (٣٠١٨)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٥) / ٨٤.

(٢) تفسير ابن كثير: (٤ / ٧٩).

(٣) صحيح البخاري: (٣ / ١١٥٩)

(٤) تفسير الرازي: (٧ / ٤٢١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٢ / ٤٠١).

وعاش أصحاب النبي (ﷺ) تلك القيم عيشة حقيقية واقعية لفتت أنظار العدو قبل الصديق، إلى ربانية هذا الدين، ومثله العليا التي لا تقوم أخلاقه على نسبية تختلف من شخص إلى آخر ولا من جنس إلى جنس، ولا من دين إلى دين بل الكل أمام القيمة سواء، فقد (روي أن معاوية كان بينه وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس أو برزون وهو يقول: الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدراً، فإذا هو عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية يسأله فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا ينبذ عقدة ولا يجلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء» فرجع معاوية) (١)،

ويؤكد هذا الفهم أن القرآن الكريم قال في موطن آخر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

(تلاحظ أن الآية لم تقل: بين المؤمنين، ولكن قالت: (بَيْنَ النَّاسِ)؛ حتى لا تكون هناك تفرقة في العدل بين مؤمن وغير مؤمن، فغير المؤمن مخلوق لله، استدعاه الله إلى هذا الوجود، وسبحانه قد أعد له مكانه في هذا العالم؛ لذلك لا بد أن تراعي العدل معه في كل الأمور ولا تظلمه بل تعطيه حقه؛ لأنك بذلك تكون أنت مدداً من إمدادات الله. وقد

(١) تفسير السراج المنير لمحمد الشربيني: (١ / ٤٥٦)، وانظر: مسند أحمد (٣٩ / ١٢٩) مسند الصحابة في الكتب التسعة (٤٥ / ٤٩٨)، سنن الإمام سعيد بن منصور (ص: ٣٤٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين: (١ / ٤٠٢)، زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزي: (٥ / ٨٠)، في مثل هذا المعنى.

كان هذا السلوك العادل الذي أمر به الله سبباً في دخول عدد كبير في الإسلام.<sup>(١)</sup>

كما تلمح شدة بيان القرآن عن حرمانهم محبة الله (تعالى) من تركيب الجملة وسياقها، وقد أكد نفى محبة الله تعالى للخيانة (بالجملة الاسمية، وب « إن »، ونفى المحبة أبلغ في النهي ؟ لأن محبة الله مطلوبة فإذا كانت الخيانة لا تؤدي إليها فهي منهي عنها نهياً شديداً مؤكداً).<sup>(٢)</sup>

كما تلمح بلاغة الآية وعمق دلالتها عن دفاع الله عن المؤمنين وعدم حبه للخائنين من ترتب الجملة الاستثنائية المبدوءة بإن كأنها تعليل لما سبق في صدر الآية كما قال صاحب التحرير والتنوير: (تعليل الدفاع بكونه عن الذين آمنوا، بأن الله لا يجب الكافرين الخائنين، فلذلك يدفع عن المؤمنين لرد أذى الكافرين: ففي هذا إيذان بمفعول (يدافع) المحذوف، أي يدافع الكافرين الخائنين).<sup>(٣)</sup>

وتلمح بلاغتها أيضاً في حذف مفعول (يدافع) في صدر الآية (فلم يذكر ما يدفعه حتى يكون أفخم وأعظم وأعم ، وإن كان في الحقيقة أنه يدافع بأس المشركين ، فلذلك قال بعده : (إن الله لا يجب كل خوان كفور)؛ ( فنه بذلك على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذا صفته وهذه بشارة للمؤمنين بإعلائهم على الكفار).<sup>(٤)</sup>

(١) تفسير الشعراوي: (١٢٠٥).

(٢) زهرة التفاسير، لمحمد أبي زهرة: (٣١٧٢).

(٣) تفسير التنوير والتحرير، لابن عاشور: (٨٣ / ٢٤).

(٤) اللباب في علوم الكتاب: (٩٩ / ١٤). تفسير الرازي: (١١ / ١٢٣).

وهي بشرى واضحة للمؤمنين الذين ابتلوا بالخيانة ممن ائتمنواهم، ووثقوا فيهم، بأن الله سيحفظهم وسينصرهم على هؤلاء الخائنين؛ فتلك سنة الله (تعالى) التي لا تتخلف ولا تتبدل.

وبتلك المناهج التي يربي الإسلام عليها أتباعه يعلي قيمة البشرية، ويرسخ معنى الحضارة الحقة التي تمسك بمقود العالم، فلا يظلم فيه فقير لحساب غني، ولا يهان فيه ضعيف إرضاء لقوي؛ لأن صاحب المنهاج هو رب البشرية، وسيد العالمين، الإله الحق الذي خلقه كلهم عنده سواء، وفضله عليهم كلهم سواء.

(إن الإسلام يريد للبشرية أن ترتفع؛ ويريد للبشرية أن تعف؛ لا يبيح الغدر في سبيل الغلب؛ وهو يكافح لأسمى الغايات وأشرف المقاصد؛ ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة.

إن الإسلام يكره الخيانة، ويحتقر الخائنين الذين ينقضون العهود؛ ومن ثم لا يجب للمسلمين أن يخونوا أمانة العهد في سبيل غاية مهما تكن شريفة. . إن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ؛ ومتى استحلت لنفسها وسيلة خسيسة، فلا يمكن أن تظل محافظة على غاية شريفة. . وليس مسلماً من يبرر الوسيلة بالغاية، فهذا المبدأ غريب على الحس الإسلامي والحساسية الإسلامية، لأنه لا انفصال في تكوين النفس البشرية وعالمها بين الوسائل والغايات.

إن الشط الممرع لا يغري المسلم بخوض بركة من الوحل؛ فإن الشط الممرع لا بد أن تلوثه الأقدام الملوثة في النهاية. . من أجل هذا كله يكره

الله الخائنين ويكره الله الخيانة... وفي مقابل هذه النصاعة وهذه النظافة يعد الله المسلمين النصر، ويهون عليهم أمر الكفار والكفر!<sup>(١)</sup>

والمبالغة في لفظة (خَوَّان) ليست على بابها، فليس المراد نفي المحبة عن الخوان فثبت للخائن، بل المراد أن المشركين خوانون، أو (لأن خيانة أمانة الله (تعالى) وكفران نعمته لا يكونان حقيرين بل هما أمران عظيمان أو لكثرة ما خانوا فيه من الأمانات وما كفروا به من النعم أو للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي أولاً وإيراد معنى المبالغة ثانياً)<sup>(٢)</sup>

وقد تكون صيغة المبالغة للنسب، فشملت ما لا مبالغة فيه، أو مراعاة الحال من الآية في شأنه... وذكر الإثم بعد الخيانة مبالغة)<sup>(٣)</sup>.

ومما يؤيد نصرة الله (تعالى) لمن وقعت في حقه الخيانة، وينصره على الخائنين، الإذن بالقتال بعد نفي المحبة عن كل خوان كفور، وتلك سنة الله في الخيانة، لا تتبدل ولا تتغير، (وما دام هناك الخَوَّان والكُفُور فلا بُدَّ للسماء أن تُؤيِّد رسولها، وأن تنصره في هذه المعركة أولاً، بأن تأذن له في القتال، ثم تأمره بأخذ العُدَّة والأسباب المؤدية للنصر، فإن عَزَّتْ المسائل عليكم، فأنا معكم أو يدكم بجنود من عندي).<sup>(٤)</sup>

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٣ / ٤٣١).

(٢) تفسير الألوسي: (١٣ / ٧٤)، تفسير البحر المحيط أبو حيان الأندلسي: (٦ / ٢٧٠).

(٣) تفسير أطفيش: (٢ / ١٦٤).

(٤) تفسير الشعراوي: (٥ / ٢٦١٥).

وفي هذه الآية إشارة لطيفة بترك المدفوع عن المؤمنين عاما مطلقا، وجعل سياقها يشير إلى الخيانة، وذلك بشارة عظيمة للمؤمنين الذين يتعرضون للخيانة، بأنه عز وجل متكفل بالدفاع عنهم.<sup>(١)</sup>

إن لطف الله بعباده دائم، شامل، سواء عن طريق محبتهم وتأيدهم، أو عن طريق رصده لأعدائهم، فهو (تعالى) متكفل بالدفاع عنهم، ونصرتهم على أعدائهم، وتلك سنة الله الماضية، وناموسه الباقي، ما بقيت على الأرض حياة وأحياء.

### المطلب الثالث: إبطال كيدهم.

ومن عقوبات القرآن الكريم للخائنين أن الله (تعالى) يبطل كيدهم، ويفلحهم، ولا ينيلهم مبتغاهم، حتى وإن بدا للنظر المتعجل أنهم وصلوا إلى غايتهم، وظفروا بمنيتهم، ونالوا ما يصبون إليه، فمقاييس الحق غير مقاييس الباطل، وغايته غير غايته، وقد مضت سنة الله (تعالى) بذلك، كما نصت الآيات الكريمة عليه.

نصت الآيات الكريمة على تلك العقوبة.

لقد عبر القرآن الكريم غيب كيد امرأة العزيز على لسانها عن ذلك

فقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف: ٥٢).

ومعنى عدم هداية كيدهم يبين سننية القرآن الكريم في إبطال كيدهم، فعدم هداية كيدهم يعني:

(١) موسوعة البحوث والمقالات العلمية: (٦٤ / ٣).

أنه (لا ينفذه ولا يسدده. أو لا يهدي الخائنين ليكدهم. وأوقع الفعل على الكيد؛ مبالغة<sup>(١)</sup>)

وأتت الآية الكريمة مبينة استغراق الأمر لجميع الخائنين ب(ال) التي تفيد الاستغراق، إضافة إلى ورودها بصيغة الجمع؛ (لثلاثتهم أن الحديث عن خائن معين.. فيصير الجمع في هذه المواطن قرينة على قصد الاستغراق).<sup>(٢)</sup>، فكل خائن بهذه الصورة لا يصل إلى مبتغاه، ويبطل الله كيده، وتلك سنة الله الماضية، وقانونه الدائم في الخلق.

أو المعنى: (أن الله لا يوفق أهل الخيانة).<sup>(٣)</sup>، وعدم توفيقهم وإرشادهم فيه إبطال لكيدهم، فمن يهديهم أو يرشدهم بعد أن خلاهم الله وحرّمهم الرشاد والهداية؟

أو المعنى: (لا يُوصّله إلى غايته).<sup>(٤)</sup>، وإذا لم يصل إلى غايته فقد بطل، وفشل، ولم يحقق غايته.

أو أن المعنى: (لا يصلح)<sup>(٥)</sup>، وفي عدم صلاحه إبطال له.

(١) البحر المديد: (ج ٣ / ص ٣٩٣)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: (ج ٢ / ٤٥٢)، الجامع لأحكام القرآن - (ج ٩ / ص ٢٠٩).

(٢) التحرير والتنوير: (ج ١ / ص ٣٥٣).

(٣) التفسير الميسر: (ج ٤ / ص ١٥٢).

(٤) تفسير الشعراوي: (ج ١ / ص ٤٤٢٧).

(٥) اللباب في علوم الكتاب: (ج ١ / ص ٢٧٤).

أو المعنى: (قال: لا يقرب).<sup>(١)</sup>، فكيف يصل من لا يقرب؟

أو المعنى: (لا يرشد من خان أمانته)<sup>(٢)</sup>، وما دام فقد إرشاد الله له فكيف يصل إلى مبتغاه، أو ينال مناه؟

وقد دلت الآية الكريمة على عدد من الدلالات فيما يخص إبطال الكيد، منها: أنهم يفتضحون في الدنيا قبل الآخرة، وأن الله يخليهم لذواتهم، ويتركهم لقدراتهم البشرية، فلا يعينهم ولا يرشدهم، ولا يهديهم ولا يسدد فعلهم، ومبالغة في نفي وصول الخائنين على مبتغاهم، أو تحصيلهم نواهم وردت الصيغة البنائية في الآية الكريمة بهذه الصورة، موقعة الفعل على الكيد، لا على الفعل، فلم يقل القرآن الكريم لا يهديهم أو لا يهدي فعلهم، بل لا يهدي كيدهم؛ كأن الكيد نفسه، لن يهتدي، بل هـ مثل أصحابه تائه ضال، لن يصل إلى غايته، فهو مبطل من البداية.

كما قال علماء التفسير: (أوقع الفعل على الكيد مبالغة)<sup>(٣)</sup>، فسبحان من هذا كلامه.

### المطلب الرابع: الإهلاك.

ومن عقوبات الله تعالى للخائنين أنه يعاجلهم بالهلكة، ويمكن منهم من نقضوا عهده وخانوه، ووردت الآيات الكريمة مبينة ذلك ومن ذلك

(١) تفسير ابن أبي حاتم: (٤ / ٣٤٥)، تفسير السمعاني: (٧ / ٤٥٠).

(٢) الوجيز للواحدي - (ج ١ / ص ٥٥٠).

(٣) تفسير البيضاوي: (ج ١ / ص ٢٩٤-٢٩٤)، تفسير الألوسي: (ج ٧ / ص ٢٠٨).

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾، الأنفال: (٧١).

لقد وعد الله رسوله بأنه (تعالى) يتمكن من الخائنين، ويقهرهم ويخزيهم، وينصرك عليهم، وهذه سنة ماضية في الناس إلى يوم القيامة؛ لأن من سنته (تعالى) في الخائنين - كما سبق - أنه لا يجهم، ولا يهديمهم، ويعاجلهم بالعقوبة، ومعنى أمكن منهم أي: (أمكنكم أنتم أيها المؤمنون منهم فقتلتموهم وأسرتموهم).<sup>(١)</sup>

والتذييل في الآية الكريمة له دلالة بديعة كعادة القرآن في تذييله؛ حيث ورد هنا صفتان من صفات الله (تعالى)، هما (عليم)، (حكيم)، وهما - كما لا يخفى - متناسبتان تمام التناسب مع الوعد بالإمكان من الخائنين؛ فهو عليم بهم، حكيم في تمكينك منهم؛ حتى لا يعلو الباطل على الحق، وحتى تضي سنة الله تعالى في ردع الخائنين، والإمكان منهم.

وقد فعل (تعالى) بالمشركين في بدر (فأمكنك - يا رسول الله - منهم وأظهرك عليهم يوم بدر، حتى قهرتهم وأسرتهم . { والله عليم { بخلقه، { حكيم { حيث أمكنك منهم ، يعني إن خانوك أمكنتك منهم ، لتفعل بهم مثل ما فعلت من قبل).<sup>(٢)</sup>

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: (٣ / ٢٧٦).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي: (٢ / ٢٠٩)، التحرير والتنوير: (١٠ / ٨٢)، أنوار

التنزيل وأسرار التأويل: (٥ / ٩٠)، لباب التأويل في معاني التنزيل: (٢ /

٣٢٩)، محاسن التأويل: (٥ / ٣٢٩).

وهذا من روائع القرآن الكريم وأسراره في التعبير؛ إذ يعبر عن المعنى بلفظ محدد له ظلال مقصوده، وهذا ما يسميه البلاغيون: العدول، حيث يترك القرآن لفظاً ويعبر بآخر اختياراً لما للمختار من دلالة تتناسب مع السياق والمعنى المقصود للآية.

وفي ذلك من التطبيب والتسرية والتطبيب بالتهنئة والطمأننة ما فيه؛ (بأن ضمن لهم، إن خانهم الأسرى بعد رجوعهم إلى قومهم ونكثوا عهدهم وعادوا إلى القتال، بأن الله يمكن المسلمين منهم مرة أخرى، كما أمكنهم منهم في هذه المرة، أي: إن ينووا من العهد بعدم العود إلى الغزو خيانتك، وإنما وعدوا بذلك لينجوا من القتل والرق، فلا يضركم ذلك، لأن الله ينصركم عليهم ثاني مرة.)<sup>(١)</sup> ﷺ

وقد تطابق المسطور والمنظور في ذلك، في تمكين الله (تعالى) رسوله (ﷺ) ممن خانوه بعد وعد بعدم القتال ضده، كالشاعر ابن عزة الجمحي، (فإنه سأل النبي (ﷺ) المنّ عليه بغير شيء؛ لفقره وعياله، وعاهده على أنه لا يظهر عليه أحداً، ثم خان فظفر به في غزوة حمراء الأسد عقب يوم أحد أسيراً، فاعتذر له وسأله العفو عنه فقال: « لا، لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين وأمر به فضربت عنقه.)<sup>(٢)</sup>

وكما ورد الوعد بالإمكان منهم هنا ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨)

(١) التحرير والتنوير: (١٠ / ٨١)، البحر المديد: (٢ / ٣٧٦).

(٢) تفسير السراج المنير: (١ / ٤٦١).

وفي الآية الكريمة وعد بالدفاع عن الذين آمنوا، وتعليل لهذا الدفاع بأنه لا يجب كل خوان كفور.

وفي تذييل الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وإيدان بأن دفعهم بطريق القهر والحزبي. وقيل: تعليل للدفاع عن المؤمنين ببغض المدفوعين على وجه يتضمن أن العلة في ذلك الخيانة والكفر، وأوثر { لا يجب } على يبغض تنبيها على مكان التعريض وأن المؤمنين هم أحباء الله تعالى)<sup>(١)</sup>

ومما يؤيد تأييد الله (تعالى) لمن وقعت في حقه الخيانة، وأنه ينصرهم على الخائنين، ويهلك هؤلاء الخونة بمغبة أفعالهم، إذنه (تعالى) للمؤمنين بالقتال، وتلك سنة الله في الخيانة، لا تتبدل ولا تتغير، (وما دام هناك الخَوَّانُ والكُفُور فلا بُدَّ للسماء أن تُؤيِّد رسولها، وأن تنصره في هذه المعركة أولاً، بأن تأذن له في القتال، ثم تأمره بأخذ العدة والأسباب المؤدية للنصر، فإن عزَّت المسائل عليكم، فأنا معكم أو يدكم بجنود من عندي).<sup>(٢)</sup>

وفي هذه الآية إشارة لطيفة بترك المدفوع عن المؤمنين عاما مطلقا، وجعل سياقها يشير إلى الخيانة، وذلك بشارة عظيمة للمؤمنين الذين يتعرضون للخيانة، بأنه عز وجل متكفل بالدفاع عنهم).<sup>(٣)</sup>

(١) تفسير الألوسي: (١٣ / ٧٤)، تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: (٢٧٠ / ٦).

(٢) تفسير الشعراوي: (٢٦١٥).

(٣) موسوعة البحوث والمقالات العلمية: (٣ / ٦٤).

إن هلاك الخائنين ليس في الدنيا فقط، بالنصر عليهم وقهرهم وخزيمهم، بل في الآخرة أيضا، حتى يقال لهم: ادخلوا النار مع الداخلين، وقد أكد القرآن الكريم ذلك، حتى مع من كانوا أشد الناس قربا من المرسلين، كامرأة نوح وامرأة لوط، إذ قال الله (تعالى) فيهم صراحة: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ ۚ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾

لقد جعلهم الله مثلا يضرب، ونموذجا مطلقا على هلاك الخائنين مهما كانت مكانتهم، ومهما كان قربهم؛ (لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق، وبتّ الوصل وجعلهم أبعد من الآمال، وإن كان المؤمن الذي يفصل به الكافر سائر أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما خانتا ونافتتا الرسولين عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الأزواج أغنى من عذاب الله، وقيل لهما عند موتها أي يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء ومع داخلها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط)<sup>(١)</sup>

وبذلك وضع القرآن قاعدة عامة في هلاك الخائنين مهما كانوا، بل صيرهم مثلا لغيرهم، (وقطع الله بهذه الآية طمع كل من يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره، ثم أخبر أن معصية غيره لا تنصره إذا كان مطيعا)<sup>(٢)</sup>

(١) تفسير الأعمش: (٢/ ٢٣١).

(٢) تفسير البيضاوي: (٥/ ٣٥٨).

وبيين الإمام البقاعي (رحمه الله) سر القاعدية والسنية في هذا الإهلاك للخائنين، في الدارين، وضرب الله بهم مثلاً، وأنهم لم تنفعهم قرباتهم، كما لا تضر المسلمين قرباتهم من الكافرين بأنه: (لما كان أمر الاستئصال في الإنجاء والإهلاك أشبه شيء بحال أهل الآخرة في الدينونة بالعدل والفضل، وكان المفتوح به السورة عتاب النساء، ثم أتبع بالأمر بالتأديب لجميع الأمة إلى أن ختم بهلاك المخالف في الدارين، وكان للكفار قربات بالمسلمين وكانوا يظنون أنها ربما تنفعهم، وللمسلمين قربات بالكفار وكانوا ربما توهموا أنها تضرهم، قال مجيباً لما يتخيل من ذلك تأديباً لمن ينكر عليه (ﷺ) من النساء وغيرهن ضرب الله الثل بهؤلاء في عدم انتفاعهم مع كفرهم بما بينهم وبين المؤمنين من الوصل والعلائق فيغلظ عليهم في الدارين معاملة بما يستحقون من غير محاباة لأحد وإن جل مقامه، وعلا منصبه ومرامه)<sup>(١)</sup>.

ومن لطائف التعبير القرآني الكريم أنه لم يقل تحتها، بل وصفها بوصف العبودية، فقال: (تحت عبدين) إشعاراً بأن هؤلاء المرسلين عبيد لمرسلها، وهو بهم عليم وخبير، فهم يستحقون نصرته وتأييده، كما تشعر الإضافة إلى ناء العظمة بتولي الملك الدفاع عنها، ومجافة عدوهما، كما وصفها بقوله: (من عبادنا)، بما يشعر بكثرة هؤلاء العبيد، كما أن وصفها بالعبودية (أفخم، فيكون أشد تأثيراً للمواعظ وأعظم، ودفعاً لأن يتوهم أحد بشيء لا يليق بمقامها عليهما الصلاة والسلام فقال: (تحت عبدين)، أي كل واحدة منهما تحت عبد)<sup>(٢)</sup>

(١) نظم الدرر: (٨ / ٥٧).

(٢) نظم الدرر: (٨ / ٥٧).

ومن لطائف البيان القرآني هنا أنه جمعها جمع ذكور، فقال: (مع الداخلين)، وفي ذلك إشارة إلى أنها كما بذلا جهدا فوق طاقة المرأة وخرجتا عن التبعية إلى الاستقلال في الشر، وفعلتا فعل غير جنسهما جمعتا جمع الذكور، يقول الإمام البقاعي (رحمه الله): (لما فعلتا فعل الرجال في استقلالهما، وعدم عدهما لأنفسهما تبعاً، غلظ عذابهما بالكون مع الرجال في عذابهم، فقال دالاً على نفوذ الحكم فيمن هو أقوى منهما بعد نفوذه فيهما: (مع الداخلين) أي الذين هم أعظم منهما ممن لهم وصلة بأهل الله وممن لا وصلة لهم بهم)<sup>(١)</sup>

وتلك عقوبات الله تعالى للخائنين، حرمان من الهداية، وحرمان من محبة الله تعالى ومودته، وإبطال كيدهم، وإهلاك لا يتخلف ولا يتأجل، وتلك سنن الله الماضية، وعقوبته العاجلة، وناموسه الذي لا يتخلف، فليتعظ من خان ربه أو رسوله أو أمانة أو عرضاً وليبادر بالتوبة النصوح قبل حلول الأجل، فسنة الله لا تنتقي ولا تنتخب، بل ماضية ما مضى الجديدان، دائمة ما كر الملوان، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨ / ص ٥٨.

## المبحث الخامس:

### آثار الخيانة على الفرد والمجتمع.

المتبع لآيات القرآن الكريم والرابط بينها وبين الواقع المعيش يدرك مدى فداحة أثر الخيانة وضررها على مستوى الفرد، وعلى مستوى المجتمع، ويمكننا أن نحصر آثار الخيانة في مطلبين:

المطلب الأول: آثار الخيانة على الفرد

المطلب الثاني: آثار الخيانة على المجتمع

ونتناول ذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: آثار الخيانة على الفرد

خلق الله الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وجعله خليفته في أرضه، وزوده بمقومات الحياة الصحيحة الراقية، التي تعينه على تعبيد نفسه بحق له (عز وجل)، فأمره بالأمانة ونهاه عن الخيانة بشتى صورها ومختلف أنواعها، فجاءت شياطين الإنس والجن فاغتمتته، ونصبت له الشرك، ولوحت له بصور يظن فيها المهارة والذكاء، وهي صور من الخيانة المتردية سواء لله ورسوله، أو للدين أو للعرض، أو لنفسه وجوارحه، أو للأمانة، أو للعهد، وترتب على ذلك آثار تخصه هو، ويعود ضررها عليه نفسه، ومن أبرز تلك الآثار ما يأتي:

١- تشويه الفطرة النقية التي جبل عليها، وخلقها الله بها، فهو مفطور بداية على الصفاء والنقاء، والأمانة وعدم الخيانة، وبوقوعه فيها يشوه تلك الفطرة التي جبله الله عليها.

٢- أنه يجرم نفسه الهداية، مهما كان قربه من مصادرها، وهل هناك نموذج في القرب أقرب من امرأة نوح وامرأة لوط، اللتين لم يغنيا عنهما من الله شيئاً، فهما أكيلتان وشريبتان لاثنين من أعظم الأنبياء، ولخيانتهما لم ينتفعا بهذا القرب، ولم ينعما بالهداية التي هي سر استقرار النفس البشرية وهنائها.

٣- الشقاء في الدنيا؛ ذلك أن الخائن يُحُون دائماً ويظل في شك في كل من حوله، وهذا يخالف فطرة الإنسان الكائن الاجتماعي الذي يجب المخالطة والمعايشة، فيعيش معزولاً عن بني جنسه بينه وبينهم أسوار وأسوار، حتى يصبح سجينا في مكان كبير.

٤- وأسوأ أثر من آثار الخيانة على الفرد أنه يجرم محبة الله (تعالى)، تلك المحبة التي تهنأ بها نفسه، ويستقر بها باله، فيصلح حاله وباله بها، وبفقدانها يتخلى عنه صلاح الحال والبال.

٥- حرمان الأمان النفسي والاستقرار المجتمعي؛ حيث إن الخائن لا يكون مرتاحاً لمن حوله، بل يفترض أن الناس جميعاً مثله فيظل قلقاً شاكاً في كل الناس.

٦- أنه يفقد كل شخص حوله ائتمانه على شيء، مهما قل؛ ذلك أنه أصبح معدوم الثقة بين الناس فلا يأتمن ولا يؤتمن، وفي ذلك من فقد الإنسانية التي هي خصيصة افسان وقوام كونه إنساناً، ما فيه.

٧- أنه يمهد لغيره سبيل الخيانة بعده، فواقائع التاريخ تؤكد أنه من من خائن إلا ووقعت عليه الخيانة أيضا من غيره، وهكذا تصبح البشرية سلسلة من الخيانة، يبوء الأول بإثمها، ويحمل دوما كفلها.

### المطلب الثاني: آثار الخيانة على المجتمع

أما آثار الخيانة على المجتمع فهي وخيمة وبيلة؛ ذلك أن ضررها عام، وخطرها شامل، وشرها لا يتوقف عند فرد أو أسرة، أو مجموعة من الناس، وتبدو آثار الخيانة على المجتمع في النقاط الآتية:

١- أن المجتمع الذي تظهر فيه الخيانة وتنتشر، مجتمع تعمه الفوضى، ويسوده المصلحة الخاصة، ويتكالب عليه الأعداء من كل جانب؛ ذلك أن أفراده طعمة سائغة لمن يريد أن يستخدمهم ضد أوطانهم، كما تعيش بلاد كثيرة، فيعملون ضد أنفسهم، وعكس اتجاه مصالح أهليهم وذويهم، وأناء أوطانهم.

٢- أنه مجتمع لا يأمن أفراد، ولا يستقر لهم قرار؛ لأن الكل يتوقع الخيانة من أقرب الناس إليه، فلا يكون هناك أمان ويعيش الناس في جزر منعزلة، بعيدا عن الاندماج الحقيقي الذي هو عماد الحضارة، وقرين التقدم.

٣- أنه على مستوى المجتمعات المجاورة لا يأمنون جانبهم، ولا يطمئنون لهم؛ بل سيكونون منهم على وجل؛ فمن يخن بني وطنه يكن أشد خيانة لمن بعدهم.

٤- أنه سبب لهلاك المجتمعات؛ لأنه لن يكون هناك دولة مستقرة، ولا حضارة قائمة، ومن ثم يتهاوي المجتمع وينحدر ويعود إلى حياة الفردية والبداءة.

- ٥- أنه عرضة للهلاك والعقاب الإلهي فقد توعد الله الخائنين بالهلاك والدمار.
- ٦- أنهم عرضة لغضب الله تعالى حسب سنن الله الماضية، ونواميسه الحاكمة.
- ٧- أنهم يجرمون محبة الله تعالى وهدايته، وأي عقوبة أشد من هذا الحرمان، وأقسى من هذا الغضب.

## الخاتمة؛

### أسأل الله حسنها

وبعد... فهذه الرحلة في صحبة القرآن الكريم حول قضية من أخطر القضايا التي تعيش أمتنا العربية والإسلامية ويلاتهما، وهي قضية الخيانة سواء كانت على مستوى الأفراد أم على مستوى المؤسسات أو الدول، وقد بان من تلك الرحلة أمور كثيرة في ثنايا الدراسة وأطوائها، من أهمها ما يأتي:

١- عناية القرآن الكريم بتلك القضية حيث وردت في العهدين المكي والمدني وبصيغ متعددة وبيانات متغيرة؛ لفتا لأنظار الناس إليها وتنبئها إلى خطرهما وضررها.

٢- أن الخيانة تنوعت صورها، وتباينت ألوانها، من خيانة الله والرسول، إلى خيانة للدين أو العرض أو النفس أو الأمانة والعهد، ووقعت في الماضي وتقع في الحاضر وستقع في المستقبل، وعلى الأمة المسلمة أن تتنبه إليها، وتستعد لها فليس من الحصافة الصبر حتى وقوعها، بل يتوجب عليها اجتثاث أسبابها، وإزالة دواعيها منذ البداية.

٣- كما بان من تتبع القضية أن القرآن الكريم وضع منهجية كافية في التعامل مع الخائنين فرادي ومجموعين، يتمثل في عدم الدفاع عنهم، ونبذهم وإنكارهم حتى يثوبوا إلى رشدهم، وإن كانوا دولا فيتمثل في طرح عهودهم والنبذ إليهم على سواء.

٤- أن الخائنين ينالون عقابهم في الدنيا والآخرة، من حرمانهم هداية الله ومحبتة، وأن كيدهم باطل، أما عقوبتهم في الآخرة فهلاك محقق ونار تلظى.

٥- أن آثار الخيانة وخيمتها، وعاقبتها وبيلة، على الفرد والمجتمع، وهنا لون من إعجاز القرآن بديع في تلاقي المسطور مع المنظور بما لا يدع مجالاً ولو للحظة في أن هذا الكتاب كلام اللطيف الخبير.

ومن هنا يتحتم علينا أن نوصي بالآتي:

١- أهمية توعية الأجيال والمجتمعات بقضية الخيانة وبيان ضررها وخطرها على كل المستويات.

٢- عدم المدافعة عن الخائنين أيا كانوا، أفراداً أو مؤسسات أم دولا، فضلا عن مساندتهم ودعمهم والوقوف خلفهم؛ خوفاً من عقاب الله وسخطه ونزع بركته، وبعداً عن سبب من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة.

٣- تبني مفاهيم القرآن ومصطلحاته ومنهجياته في التعامل مع الأشياء فقد جربنا كثيراً من المنهجيات وثبت فشلها؛ فالقرآن ليس كتاب وعظ وتذكرة فقط بل منهج حياة ودستور بشرية، طبقتة أجيال فسعدت وسادت، وتخلّى عنه آخرون فكان من حالهم ما لا يخفى على ذي عينين.

٤- أن يكون للمؤسسات العلمية التي تملك الرؤية القرآنية رأي ومهمة في قضايا الأمة الخطيرة التي لا يتوفى ضررها على أصحابها فقط بل

تمتد إلى عموم المسلمين وان يجأروا بهذه الرؤفة ببانا لكلمة الله ووفاء للميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم أن يبينوه للناس ولا يكتموناه.  
٥- نشر ما تتمخض عنه البحوث والدراسات القرآنية عامة، وما يخص واقعنا خاصة بين الناس حتى لا يكون حبسا بين طلاب العلم فقط، بل يمتد ليشمل المجتمع حتى يفيد هذا المجتمع من نتاج أبنائه، وعطاء القرآن الكريم.



### أهم المراجع والمصادر.

- ١- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م
- ٢- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزنخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م
- ٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ
- ٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الجليل - بيروت، ١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد
- ٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م
- ٦- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

- ٧- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- ٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، لحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.
- ٩- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،.
- ١٠- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- ١١- التفسير الميسر، : مجموعة من العلماء - عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
- ١٢- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٣- تفسير الشعراوي - الخواطر: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)

١٤- تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

١٥- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ

١٦- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٧- تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

١٨- تفسير الماوردي = النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

١٩- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

٢٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢١- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

٢٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٢٣- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي

(المتوفى: ٦٧١هـ)، ت حقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ٢٤- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٢٥- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٢٦- زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م

٢٧- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت

٢٨- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي

٢٩- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت،

٣٠- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٣١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣٢- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

٣٣- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ

٣٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، الكتاب مذيّل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣) وتخرّج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي]

٣٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ، - ٢٠٠٢ م.

٣٦- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ

٣٧- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨

٣٨- محاسن التأويل: المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٣٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٤٠- المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

٤١- المستدرک على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

٤٢- مجموع الفتاوى،: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: أنور الباز - عامر الجزائر، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

٤٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن: لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

٤٤- معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٥- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٦- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

٤٧- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

٤٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

٤٩- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥٠- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب، العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

## المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة .....
٩	المبحث الأول: دلالات الخيانة في القرآن .....
٩	المطلب الأول: الدلالة اللغوية .....
١١	المطلب الثاني: الدلالة الاصطلاحية .....
١٢	المطلب الثالث: الخيانة في الاستعمال القرآني .....
١٥	المطلب الرابع: الألفاظ ذات الصلة .....
٢٦	المبحث الثاني: أنواع الخيانة في القرآن .....
٢٦	المطلب الأول: خيانة الله ورسوله .....
٢٩	المطلب الثاني: خيانة الدين .....
٣١	المطلب الثالث: خيانة العِرْض .....
٣٤	المطلب الرابع: خيانة النفس والجوارح .....
٣٦	المطلب الخامس: خيانة الأمانة .....
٤٠	المطلب السادس: خيانة العهد .....

- ٤٣ ..... المبحث الثالث: طريقة التعامل مع الخائنين
- ٤٣ ..... المطلب الأول: عدم المدافعة عنهم
- ٥٠ ..... المطلب الثاني: طرح عهودهم
- ٥٦ ..... المبحث الرابع: عاقبة الخائنين
- ٥٦ ..... المطلب الأول: حرمان الهداية إلى الحق
- ٦٣ ..... المطلب الثاني: حرمان محبة الله
- ٧٠ ..... المطلب الثالث: إبطال كيدهم
- ٧٢ ..... المطلب الرابع: الإهلاك
- ٧٩ ..... المبحث الخامس: آثار الخيانة على الفرد والمجتمع
- ٧٩ ..... المطلب الأول: على الفرد
- ٨١ ..... المطلب الثاني: على المجتمع
- ٨٣ ..... الخاتمة
- ٨٧ ..... المراجع والمصادر



## هذا الكتاب

جزء من مشروع علمي ولبنة ومن لبنات بنائه، يبتغي صوغ منظومة قرآنية في زاوية التفسير الموضوعي يسعى إلى رصدها وتراكم بعضها فوق بعض حتى يستطيل هذا الصرح

تعيش أمتنا اليوم مرحلة مفصلية من مراحل حياتها. ومحنة من محن الزمن. تألب عليها الأعداء وخانها الدون من الأبناء. مما دعاها لتنادي الأصدقاء من أبنائها. والصادقين من الأحرار في ميدان الحياة أن هبوا لنجدتي واستيقظوا لغوثي. فإذا قضيت فلا والله ما في العيش خير ولا في الدنيا هنا. فنحن أمة الرسالة. ودعاة الخير وهداة البشر. مصداقا لقوله تعالى: (كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) (المائدة: ٨). وهي دراسة مبسطة عن مفردة الخيانة في القرآن الكريم. استعملت فيها المنهج الاستقرائي والاستنباطي. ونسجت على اللون الوجيز بحصر الآيات واستنباط دلالاتها حسب موضوعها. وتصنيفها حسب موقعها من الموضوع القرآني. والله وحده خير مسؤول ومأمول.

تصميم الغلاف  
+201905823852



01012355714 - 01152806533  
darelbasheerealla@gmail.com  
elbasheer.marketing@gmail.com  
www.darelbasheer.com

دار البشير  
لتنمية القرآن والعلم